

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَشْرَفِي

مِنْ خَطِّ الْمَلِكِ الْبَرِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر ج ١

المؤلف: الشيخ فيصل الحاشدي

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٢٠٨٩٩

نوع الطباعة: ٢ لون

عدد الصفحات: ٣٧٢ صفحة

القياس: ١٧ X ٢٤

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

محمفوظة
جميع الحقوق
للناشر

٢٠٢٠

الإدارة

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ فِي

حِطِّ الْأَمَلِ بِرَأْسِهِ

الجزء الأول

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن حمزة قاتر الحاشري

عفا الله عنه

دار الأمان
الإسكندرية

دار القيمة
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ^(١).

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولها بين يدي كلامه، وفي خطبته، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها أصحابه رضي الله عنهم في شأنهم كله، وقد زهد فيها كثير من خطباء هذا الزمان، وقد أشرت لتخريجها في كتابي «تحفة الخطيب» حاشية (ص ٦)، وللشيخ الألباني رحمته الله رسالة مفردة ماتعة في تخريجها، اسمها «خطبة الحاجة» قال رحمته الله في خاتمتها ما نصه: «قد تبين لنا من مجموعة الأحاديث المتقدمة أن هذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح، أو خطبة جمعة، أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح كما يظن».

وبعد، فقد يسر الله لي والله الحمد كتابة شيء من الخطب لتلقى من قبل بعض الطلاب في القرى، فكانت تنال استحسان الناس وارتياحهم، فرأيت من المصلحة القيام بتهديبها وتشذيبها، والزيادة عليها، وإخراجها في كتاب، سميته «الصحيح من الأثر في خطب المنبر» لتعم به الفائدة.

وقد حرصت بتوفيق الله ﷺ أن أحشو سمع المستمع وقلبه بنصوص الوحيين الشريفيين، فهذا - لعمرى - هو الغيث المبارك.

قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [قن: ٩]

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(١) من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت القرآن، ومثله معه».

وقد يظن من اعتاد الخطب التي تزخر بالسجع والترصيعات البيانية - أن البلاغة لا توجد في غيرها، وليس كذلك، ومن ظن أن البلاغة في غير كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ فما عرف البلاغة، وإنما عرف صداها.

قال الله ﷻ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ أَلْعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٨٤٨).

وقال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٢٣) [الزمر: ٢٣].

ولقد أودع الله ﷻ معاني كتابه في قوالب لفظية عربية، وزينه بروعة الفصاحة، وكساه حلة البلاغة وجلال الإعجاز، فدهشت به العرب جميعاً إذ سمعته، حتى قال قائلهم^(١): «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة^(٢)، وإنه لمثمر أعلاه، ومغدق^(٣) أسفله، وإنه ليعلو، ولا يعلو عليه، وإنه ليحطم ما تحته^(٤)».

وخر بعضهم سجداً تعظيماً عندما سمع يتلى، وانجذبت إليه صناديد الكفر والعناد، فكانوا يستمعون إليه تلهذا وإعجاباً، بل انقادت إليه قلوب العرب والعجم عندما كشف الستار عن جماله، وحاكى العقول؛ لذلك خالطت محبته بشاشة القلوب، حتى إن نفراً من الجن انقادوا إليه عندما سمعوه يتلى، ورأوا إعجازه، وأيقنوا بسلطانه.

قال الله ﷻ على لسانهم: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١) [الجن: ١]^(٥).

(١) هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

(٢) الطلاوة مثلثة: الحسن والسحر.

(٣) مغدق: كثير.

(٤) هذه القصة أخرجها الحاكم في «المستدرک» من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتاني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٢/٥٠٧)، وأخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» عن عبد الرزاق -أيضاً- كما أخرجها من طريق آخر (٢/١٩٨-٢٠٥).

(٥) انظر كتابي «فن الحوار» (ص ٢٢-٢٣).

وبعث الله ﷺ نبيه بجزوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصاراً، وفاق العرب في فصاحته وبلاغته، هو القائل كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أعطيت جوامع الكلم».

وأسأل الله ﷻ أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلنا هداة مهتدين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) رواه مسلم (٥٢٣).

أركان الإسلام

الخطبة الأولى: ١- الشهادتان: أ شهادة أن لا إله إلا الله

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن الركن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادة «أن لا إله إلا الله»، وشهادة «أن محمداً رسول الله».

فشهادة «أن لا إله إلا الله» معناها: توحيد المعبود، وشهادة «أن محمداً رسول الله» معناها: توحيد المتبوع.

وسوف أتحدث في هذه الخطبة عن شهادة «أن لا إله إلا الله».

-أيها الناس-، إن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هي أصل الإسلام وأساسه، فهي الكلمة الفاصلة بين الشرك والتوحيد، بين الحق والباطل، ومعنى كلمة «لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا الله.

وتشمل هذه الكلمة العظيمة على ركنين:

الركن الأول: النفي

الركن الثاني: الإثبات.

فالنفي هو قولنا: «لا إله»

والإثبات هو قولنا: «إلا الله».

ف«لا إله»: نفي جميع ما يعبد من دون الله.

و«إلا الله»: إثبات جميع أنواع العبادة لله رب العالمين وحده لا شريك له في عبادته، كما لا شريك له في ملكه وربوبيته.

وقد جاء معنى هذه الكلمة في آيات كثيرة من كتاب الله، فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

فقوله ﷻ: «أن اعبدوا الله» هو معنى: «إلا الله».

وقوله تعالى: «واجتنبوا الطاغون» هو معنى «لا إله».

والطاغوت --أيها الناس--: هو كل معبود أو متبوع من دون الله.

ومن فوائد هذه الآية أن الله ﷻ أخبر أنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا بعث الله فيهم رسولا، وكلهم متفقون على كلمة التوحيد «إله إلا الله».

وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]

ومما يدل على أن شهادة «أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله» ركن من أركان الإسلام ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأ، محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

ونظراً لأهمية هذا الركن العظيم؛ فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقتال من لم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أ، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار، فسمع

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) رواه مسلم (٣٨٢).

رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر. فقال رسول الله ﷺ: «على افطرة» ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «خرجت من النار». فنظروا، فإذا هو راعي معزى».

وفضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أكثر من أن تحصر.

فمنها أن من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ فهو معصوم الدم، والمال، والعرض إلا بحقه.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة».

ومنها أنها سبب للفوز والفلاح:

أخرج ابن خزيمة في «صحيحه» بسند صحيح، صححه الوادعي في «الصحيح المسند»^(٢) من حديث طارق المحاربي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ مر في سوق ذالمجاز، وعليه حلة حمراء، وهو يقول: «يا-أيها الناس-، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها أثقل شيء في الميزان:

فقد أخرج الترمذي في «سننه»، وابن ماجه بسند صحيح، صححه الوادعي في «الصحيح المسند»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)

(٢) «صحيح ابن خزيمة» (١٥٩)، وصححه الوادعي في «الصحيح المسند» (٣٨١ / ١).

يقول: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فيشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتتكر من هذا شيئا؟، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب. فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! يقال: فإن لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

ومن فضائلها أنه تفتح لها أبواب السماء:

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الوادعي في «الصحيح المسند»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما قال عبداً: لا إله إلا الله -قط- مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى عرش الرحمن، ما اجتنب الكبائر».

ومن فضائلها أنها سبب في الخروج من النار بعد دخوله فيها:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي قتادة قال: حدثنا أسن بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم (ومعاذ رديفه على الرحل) قال: «يا معاذ بن جبل» قال: لبيك -يا رسول الله-

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الوادعي في «الصحيح المسند» (٥٣٥/١).

(٢) أخرجه الترمذي بسند حسن (٣٥٩٠)، وأخرجه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٣٣٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

وسعديك. قال: «يا معاذ» قال: لبيك وسعديك -ثلاثا- قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار». قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟! قال: «إذا يتكلموا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثما (أي تخرجا وخوفا من الإثم في كتم العلم).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال -وهو في الموت-: ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه، إلا حديثا واحدا، وسوف أحدثكم اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار».

ومن فضائل كلمة التوحيدي «لا إله إلا الله» أنها سبب في دخول الجنة:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة».

(١) أخرجه مسلم (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتته وقد استيقظ، فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق». قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: «وإن زنى، وإن سرق». قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: «وإن زنى، وإن سرق، على رغم أنفسي أبي ذر».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها سبب لنيل شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم:

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قلبه أو نفسه».

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أنها أعظم سبب لمغفرة الذنوب، وتكثير الأجور:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عن مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

(١) رواه البخاري (٥٨٢٧) ومسلم (٩٤).

(٢) رواه البخاري (٩٩).

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

ومن فضائل كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أن ذكر «لا إله إلا الله»، خير من الدنيا وما فيها:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: شروط «لا إله إلا الله»

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين:
 أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن معنى كلمة التوحيد، وشيء من فضائلها، والآن حديثي معكم عن شروطها.
 -أيها الناس-، لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ثمانية شروط ذكرها أهل العلم، وهي كلها مأخوذة من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وسوف أذكرها بأدلتها، فأعيروني أسماعكم.

الشرط الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً:

والمراد بالعلم هنا العلم المنافي للجهل بالمعنى الذي دلت عليه، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]

وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]

إذ لا بد من علم، أما أن يقولها الشخص، وهو لا يدري، فإنه لا يكون بذلك ناجياً، ولا يكون بذلك مسلماً، ولو أن شخصاً أعجمياً كافراً نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً سمع رجلاً يقول: «لا إله إلا الله» بالعربية، فقالها لم يكن بذلك مسلماً، حتى يعلم معناها، ويعتقد ويعمل بمقتضاها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّحُرْف: ٨٦] فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بقول: إلا من شهد بالحق: يعنى ب«لا إله إلا الله». وهم يعلمون، أي: يعلمون ما دلت عليه^(١).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة».

والجهل بمعناها -أيها الناس- هو الذي أوقع كثير من الناس في الشرك، حيث جهلوا معنى «لا إله إلا الله»، فجهلونا معنى الإله، وأن الإله هو المعبود، وجهلوا مدلول النفي، ومدلول الإثبات، بعكس المشركين السابقين حيث كانوا يعرفون معناها؛ لأنهم أهل الفصاحة والبلاغة، فرفضوها لما قالها لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا له: ﴿أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

-أيها الناس-، هؤلاء المشركون عرفوا معناها، فيا لله! كم من أناس في زماننا جهلوا معناها، فعبدوا القبور، وعكفوا عليها، ونذروا لأهلها، وذبحوا لهم، ودعوهم من دون الله، فإننا لله، وإنا إليه راجعون!.

الشرط الثاني: اليقين:

أي أن يقولها الشخص بيقين، فيتيقن من قلبه بها، ويعتقد صحة ما يقوله. وضد اليقين الشك والريب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الخُرَات: ١٥].

(١) انظر رسالة بعنوان «فاعلم أنه لا إله إلا الله» لبشر البشر (ص ٣٤، ٣٥).

(٢) تقدم تخريجه.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة». فمن قالها وهو شاك في صحتها كان بذلك كافرا.

الشرط الثالث: القبول:

والقبول ينافي الرد، فلا يرد شيئا من معانيها، وقد كان زعماء المشركين يعرفون معنى «لا إله إلا الله»، ويعرفون صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك استكبروا عن قبول الحق والهدى.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وفي «صحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحق الإسلام، وحسابه على الله عز وجل».

الشرط الرابع: الانقياد والاستسلام:

أي ينقاد لها، ويستسلم ويذعن.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب:

فأما من قالها كاذبا، فإنها لا تنفعه.

(١) رواه مسلم (٢٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت: ٣].

وقد أخبر الله ﷻ أن المنافقين كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولكنهم في باطن الأمر يكذبون. فقال ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] [المنافقون: ١].

الشرط السادس: الإخلاص:

أن يقولها بإخلاص، وضد الإخلاص الشرك، قال الله ﷻ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [٢] [آل الله الدين الخالص] [الزمر: ٢، ٣].

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد سئل رسول الله ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قلبه».

الشرط السابع: المحبة:

فيقولها المسلم محبا لها.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [١٦٥] [البقرة: ١٦٥].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).

المراء لا ي حبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

الشرط الثامن: الكفر بالطواغيت:

وهي المعبودات من دون الله، فمن قال: لا إله إلا الله، ثم عبد غير الله بدعاء، أو ذبح، أو نذر فهو مشرك بالله ﷻ الشرك الأكبر.

قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾

[البقرة: ٢٦٥]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث طارق بن أشيم قال: قال رسول الله ﷺ: «من

قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله».

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

(١) رواه مسلم (٢٣).

الخطبة الأولى: ب. شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعين، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن شهادة «أن محمدا رسول الله» والحديث عن هذه الكلمة العظيمة ذو شجون.

-أيها الناس-، **إن معنى هذه الكلمة العظيمة هو:** الاعتقاد الجازم بأن محمدا رسول الله ﷺ مرسل من ربه، فنصدقه فيما أخبر، ونطيعه فيما أمر ونترك ما نهى عنه وزجر، ونعبد الله بما شرع.

وقرنت شهادة «أن محمدا رسول الله» بشهادة «أن لا إله إلا الله» لحكم عظيمة، ومعان جلية تدل عليها، ومنها:

الأمر الأول: وجوب محبته ﷺ

ومحبته صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، فلا يكون المرء مؤمناً إلا بها، ولا يائماً لمن لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِئْرَةٌ أَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ومن أعظم من فسر هذه الآية القاضي عياض في كتابه الماتع «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم» (١).

قال رحمته الله: «فكفى بهذا حضا وتنبیها ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم؛ إذ قرع الله من كان حاله، وأهله، وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ فِيهَا﴾ [التوبة: ٢٤]، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن أضل، ولم يهده الله».

وفي «الصحيحين» (٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين».

وفي «صحيح البخاري» (٣) من حديث عبد الله بن هاشم قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب غلي من كل

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (١٨).

(٢) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) رواه البخاري (٦٦٣٢).

شيء إلا من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أي: الآن عرفت، فنطقت بما يجب»^(١).

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم - أيها الناس - هي موافقة لمراد الله في محبته لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه له، فقد أقسم بحياته، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].
كما أثنى عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
واتخذ صلى الله عليه وسلم خليلا.

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلا، لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صلى الله عليه وسلم صاحبه خليلا».

ألا يا محب المصطفى زد صباية ❀❀❀ وضمخ لسان الذكر منك بطييه
ولا تعبان بالمبطلين؛ فإنها ❀❀❀ علامة حب الله حب حبيبه

الأمر الثاني: طاعته صلى الله عليه وسلم

وهذا الأمر - أيها الناس - من أعظم لوازم محبته والإيمان به.

(١) «الفتح» (٥٣٦/١١).

(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣).

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢]

وجاء أمر الله ﷻ في وجوب طاعة الرسول ﷺ، فقال ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

وأمر ﷻ بالرد عند التنازع إلى الله والرسول، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

ومن اعتقد -أيها الناس- أن أحداً يسعه الخروج عن طاعة الرسول ﷺ، أو

الوصول إلى الله من غير سلوك طريقته فقد كفر.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٦٤﴾ [النساء: ٦٤]

فتبين من ذلك -أيها الناس- أن طاعة الرسول ﷺ هي دليل محبته، وكلما ازداد

الحب زادت الطاعات؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصي الإله، وأنت تزعم حبه ❀❀❀ ذاك لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ❀❀❀ إن المحب لمن أحب مطيع

الأمر الثالث: تصديقه في كل ما أخبر:

وهذا الأمر - أيها الناس - أصل من أصول الإيمان بعصمة النبي ﷺ من الكذب والبهتان، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤)﴾ [النجم: ٣، ٤]

وبهذا يعلم - أيها الناس - أنه من رد شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ وكذبه فيه فهو كافر، سواء كان رده اتباعاً للهوى، أو لشريعة منسوخة.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۗ (٣٢)﴾ [الزمر: ٣٣].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» بسند صحيح، صححه الألباني لشواهد^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، قالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟!

قال: أو قال ذلك؟ قال: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي الصديق».

(١) رواه مسلم (١٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٦٢)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني لشواهد^(٢) في «السلسلة الصحيحة» (٣٠٦).

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينما راع في غنمه، عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟ بينما رجل يسوق بقرة، قد حمل عليها، فالتفت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا، لكنني خلقت للحرث» قال الناس: سبحان الله! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإني أومن بذلك، وأبو بكر، وعمر».

الأمر الرابع التحاكم إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا الأمر -أيها الناس- أصل من أصول الإيمان، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويسلم تسليماً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وفي (الصحيحين)^(٢) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر. فأبى عليهم.

فاختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك».

فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟! فتلون وجه نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «يا زبير، اسق، ثم احبس الماء، حتى يرجع إلى الجدر» فقال الزبير: والله،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٣).

(٢) رواه البخاري (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧)، واللفظ له.

إني لأبشركم بالله هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: الاتباع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن معنى شهادة «أن محمدا رسول الله» فذكرت أربعة أمور، وهي:

وجوب محبته، وطاعته، وتصديقه في كل ما أخبر، والتحاكم إلى سنته.

وفيما يأتي الحديث عن الأمر الخامس، وهو: وجوب اتباعه:

واتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد ركائز دين الإسلام، بل إن الإسلام يقوم على أصليين أساسيين، هما:

الإخلاص والمتابعة.

فالإخلاص وإفراد الله بالعبادة هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأن لا إله إلا الله، والاتباع والتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو حقيقة إيمان العبد وشهادته بأن محمدا رسول الله.

فتبين -أيها الناس- أنه لا يتحقق إسلام عبد، ولا يقبل منه قول، ولا عمل، ولا اعتقاد إلا إذا حقق هذين الأصلين (الإخلاص والاتباع)، وأتى بمقتضاها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

قال شراح الطحاوية: «فهما توحيدان، لا نجاه للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول»^(١).

ويعرف الاتباع -أيها الناس- بأنه: الاقتداء والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، والتروك بعمل مثل عمله، على الوجه الذي عمله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه عمله.

والاتباع -أيها الناس- هو دليل محبة الله، ويدل على ذلك قول الله سبحان الله: ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مما ينبغي التفتن له أن الله سبحان الله قال في كتابه:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبوا الله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ﴾ فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يوجب

محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله؛ فإن هذا الباب تكثر فيه

الدعاوى والاشتباه»^(٢).

ويقول ابن كثير: «هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على

الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي،

والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله»^(٣).

(١) «شرح الطحاوية» (١/٢٢٨).

(٢) «الفتاوى لابن تيمية» (١/٢٢٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١/٣٥٨).

وقال العلامة ابن القيم: «قال: «يجبكم الله» إشارة إلى دليل المحبة، وثمرتها وفائدها، فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول، وفائدها وثمرتها: محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، محتبه لكم منتفية»^(١).

ويقول: «وثباتها - أي محبة الله - في القلب إنما يكون بمتابعة الرسول في أعماله، وأقواله، وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانه يكون نقصانها»^(٢).

- أيها الناس -، إن حب الله ليس كلمات تقال، ولا قصصا تروى، فكذلك محبة رسول الله ﷺ ليست دعوة باللسان، ولا هيأما بالوجدان وكفى، بل لا بد أن يصاحب ذلك الاتباع لرسول الله ﷺ والسير على هداة، فالمحبة ليست ترانيم تغنى، ولا قصائد تنشد، ولا كلمات تقال، ولكنها الاقتداء والتأسي به ﷺ ظاهرا وباطنا، فإن الطرق إلى الله كلها مسدودة إلا طريقة رسول الله ﷺ.

قال الجنيد بن محمد: «الطرق إلى الله ﷻ كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته؛ فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه، كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كثيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].^(٤)

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٢).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٧).

(٣) انظر «دراسات تربوية في الأحاديث النبوية» لمحمد لقمان الأعظمي (ص ٢٨، ٢٩).

(٤) «الحلية» لأبي نعيم (١٠/ ٢٥٧)، و«تلييس إبليس» لابن الجوزي (ص ١٩).

اللهم إنا نسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا.

اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك.

الخطبة الأولى: من معجزات النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الله ﷻ أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات، والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات؛ ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، فأعطى الله ﷻ كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزة خاصة به، لم يعطها غيره، تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، وأهل زمانه.

فالغالب على زمان موسى عليه السلام السحر، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار.

والغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب، فجاءهم من الآيات البينات بما لا قبل لهم به، ولا سبيل لأحد عليه، وهو شفاء الأمراض المستعصية:

كالأكمة، والأبرص، بل وإحياء الموتى بإذن الله.

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد بعث في زمان الفصحاء والبلغاء، وتجاريد الشعراء، فأتاهم بكتاب من عند الله تعالى فتحداهم ودعاهم أن يعارضوه، ويأتوا بمثله، وليستعينوا بمن شاءوا، وهيهات!

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) [الإسراء: ٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَفَقَلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤) [الطور: ٣٣، ٣٤].

-أيها الناس-، لقد كان ادعاء هؤلاء الفصحاء أن القرآن محض افتراء، فتحداهم الله أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، فتقاصر معهم إلى عشر سور منه، ثم أعاد التحدي إلى سورة واحدة، فعجزوا أن يأتوا بآية واحدة!

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) [هود: ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرٍ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) [يونس: ٣٨].

وكما أعاد الله تعالى التحدي في سورة يونس وهي مكية أعاد التحدي في سورة البقرة وهي مدنية، وأخبر تعالى أن عجزهم عن الإتيان بسورة مثله مستمر إلى يوم القيامة، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ

اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]

وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن كثير رحمته الله: «بين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سور مثله، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدا كما قال تعالى: «إِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا» أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحد ثان، وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا في الحال، ولا في المآل، ومثل هذا التحدي إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته، ولا الإتيان بمثله، ولو كان من تقول من عند نفسه، لخاف أن يعارض فيفتضح، ويعود عليه نقيض ما قصد من متابعة الناس له.

ومعلوم لكل ذي لب أن محمدا صلوات الله عليه وآله وسلم من أعقل خلق الله، بل أعقلهم وأكملهم على الإطلاق في نفس الأمر، فما كان ليقدم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته، وهكذا وقع؛ فإنه من لدن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم، وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره، ولا نظير سورة منه، وهذا لا سبيل إليه أبدا؛ فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه: لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فأنى يشبهه كلام المخلوقين كلام الخالق؟! ^(١).

أيها الناس، إن المعجزات لنبينا صلوات الله عليه وآله وسلم كثيرة، لكن أجلها وأعظمها القرآن الكريم، وفيه الكفاية لمن أراد الله له الهداية إلى الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا

(١) «البداية والنهاية» (٦/٦٥، ٦٦).

أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرْحَمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
[العنكبوت: ٥١].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

والمعنى: أن المعجزات التي أوتيتها الأنبياء قد انتهت بانتهاء وقتها، أما معجزة القرآن فباقية مستمرة إلى يوم القيامة.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها: حسن سياقه والتتام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب أهل البلاغة من العرب نظما ونثرا، حتى حارت فيه عقولهم، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك، وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها: ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها: الإخبار عما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي، وبعضها بعده.

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٨٧)، ومسلم (١٥٢).

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها، وعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه: كتمني اليهود الموت، ومنها الروعة التي تحصل لسامعيه، وفيها أن قارئه لا يمل من ترداده، وسامعه لا يمجه، ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة. ومنها أنه آية باقية ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي فوائدها^(١).

أيها الناس، ومن معجزات النبي ﷺ معجزة الإسراء والمعراج، والحديث عن معجزة الإسراء والمعراج ذو شجون، بل يحتاج إلى خطبة كاملة، ولكن شهرتها تغني عن سردها، فهي صحيحة، رواها الإمام مسلم^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه)، فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت، اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء - وفيه - ثم هب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال - قال: - فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إلى ما أوحى».

-أيها الناس-، هذه معجزة الإسراء والمعراج التي أيد الله بها نبينا محمدا ﷺ، اضطررت لاختصارها لشهرتها؛ ولأن في سردها ما تحتاج إلى خطبة كاملة.

(١) انظر «فتح الباري» (٨/٦٢٣، ٦٢٤)، وقد لخص الحافظ ذلك من كلام عياض وغيره.

(٢) رواه مسلم (١٦٢).

ومن معجزات النبي ﷺ رفع بيت المقدس؛ حتى يراه وهو بمكة:

ففي صحيح مسلم^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي (أي عن الإسراء والمعراج) فسألتنني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها؛ فكربت كربة ما كربت مثلها قط - قال: - فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم به».

ومن معجزات النبي ﷺ انشقاق القمر:

ففي الصحيحين^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما». وقد ذكر الله تعالى هذه المعجزة في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ۗ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأَنْذُرُ ۗ﴾ [القمر: ١، ٤]

-أيها الناس-، إنه مع عظم هذه المعجزة، فإن أهل مكة استمروا على كفرهم وإعراضهم، وقالوا: سحرنا محمد، لكن العقلاء منهم قالوا: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين، فأخبرهم بنظير ما شاهدوه، فعلموا صحة ذلك.

ومن معجزات النبي ﷺ تكثيره الماء، ونبعه من بين أمابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم:

(١) رواه مسلم (١٧٢).

(٢) رواه البخاري (٣٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «عطش الناس يوم الحديبية، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بين يديه ركوة (أي: إناء صغير من جلد يشرب منه الماء) فتوضأ، فجهش الناس نحوه (أي: فزعوا إليه من شدة العطش) فقال: «ما لكم؟!» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ، ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمسة عشرة مائة».

ومن معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكثيره الطعام والشراب:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما حفر الخندق رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصما (أي: جوعا)، فانكفأت (أي: رجعت) إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصما شديدا. فأخرجت لي جرابا في صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن (أي: آفة البيت) فذبحتها وطحنت (أي: الشعير) ففرغت إلى فراغي، فقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله، فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه. قال: فجئت فساررتة، فقلت: يا رسول الله، إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك. فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع لكم سورا (أي: ضيافة) فحيهلا بكم».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجنتكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس (أي: يتقدمهم)، حتى جئت امرأتي فقالت:

(١)

(٢)

بك وبك (قال أهل العلم: أي ذمته ودعت عليه، ومعناه: بك تلحق الفضيحة، ويتعلق
الذم. وقيل: معناه: جرى هذا برأيك، وسوء نظرك؛ إذ كيف تدعو أهل الخندق كلهم
إلى صاع من شعير وبهيمة* وهي الصغيرة من أولاد الضأن-؟!).

فقلت: قد فعلت الذي قلت لي (أي: أنه أخبر النبي ﷺ بما عند من طعام، وهو
أعلم بالمصحلة). فأخرجت له عجيتنا، فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق
فيها وبارك، ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها»
(أي: اغرفي من الطعام وهو في مكانه) وهم ألف، فأقسم بالله، لأكلوا حتى تركوه
وانحرفوا (أي شبعوا وانصرفوا)، وإن برمتنا لتغط كما هي (أي: تغلي ويسمع غليانها)
وإن عجيتنا -أو كما قال الضحاك- لتخبز كما هو! (يعني: العجين).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: من معجزات النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه
أجمعين، والتابعين لهم بإحسان على يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق بيان شيء من معجزات نبينا ﷺ، وفيما يأتي ذكر
بعضها.

فمن ذلك تسليم الحجر عليه ﷺ

ففي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرا بمكة، كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»^(١).

قال الإمام النووي رحمته الله معلقا على هذا الحديث: «فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجاره: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ حِيَمَهُ﴾ [الإسراء: ٤٤]

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام بحضرته صلى الله عليه وسلم

ففي (صحيح البخاري)^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نعد الآيات بكرة، وأنتم تعدونها تحويفا، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله». فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل».

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إخباره بأمر وقع بعيدا عنه وقت وقوعها:

ففي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعاً».

(١) رواه مسلم (٢٢٧٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣٦/١٥، ٣٧).

(٣) رواه البخاري (٣٥٧٩).

(٤) رواه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نعى زيدا، وجعفرًا، وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب -أي قتل وذلك يوم مؤتة-، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب -وعينه تذر فان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم».

ومن معجزاته ﷺ إخباره عن أمور لم تكن حدثت، فحدثت بعد ذلك:

فأخبر ﷺ أن كسرى سيهلك، ولن يكون هناك كسرى بعده، وكذلك قيصر، فوقع الأمر كما أخبر ﷺ.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع إليه:

ففي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة -أو نخلة-، فقالت امرأة من الأنصار -أو رجل-: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إن شئتم». فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه،

(١) رواه البخاري (٤٢٦٢).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٨)، ومسلم (٢٩١٩).

(٣) رواه البخاري (٣٥٨٤).

تتن أنين الصبي الذي يسكن. قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها».

-أيها الناس-، لا شك أن معجزات النبي ﷺ أكثر من أن تتضمنها خطبة، بل أكبر من أن تتضمنها كتاب، ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بكتب دلائل النبوة، وخاصة كتاب «دلائل النبوة» لمحدث اليمن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحم الله، فهو كتاب مفيد في بابه.

-أيها الناس-، إن شأن المؤمن أمام هذه المعجزات أنه يزداد إيمانا مع إيمانه، ولا يسعه إلا التصديق، وإذا ازداد المؤمن معرفة بالمعجزات، فإنما يكون ذلك طلبا لزيادة الطمأنينة لقلبه، كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتَّؤْمِنٌ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي الْمَوْتَىٰ [البقرة: ٢٦٠]

-أيها الناس-، إنه متى عرف المؤمن شيئا من الآيات البيئات، والمعجزات الباهرات، ازداد إيمانا إلى إيمانه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤]

وذكر الله حال الكفار حيال المعجزات، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ [الحجر: ١٤]

وقال الله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٢]

[الأعراف: ١٣٢]

اللهم زدنا معرفة بمعجزات نبيك عليه الصلاة والسلام، وزدنا بها طمأنينة لقلوبنا، وإيماننا إلى إيماننا، يا رب العالمين.

الخطبة الأولى: خصائص النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن خصائص النبي ﷺ، والخصائص -أيها الناس- هي ما اختص الله ﷻ نبيه به، وفضله به على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك سائر البشر.

ومعرفتها تجعلنا نزداد إيمان ومحبة وتبجيلاً لنبينا ﷺ.

ومما اختص به نبينا ﷺ من خصائص في الدنيا:

أن الله ﷻ أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين ليؤمنن به، كما أمرهم أن يأخذوا هذا الميثاق على أمهم.

فقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

وفي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «المشكاة»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب، أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه للنبي صلى الله عليه وسلم فغضب، فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني» ومعنى متهوكون: أي متحIRON.

ومن خصائمه أن رسالته رسالة عامة:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشافعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

ومن خصائمه أن الله ﷻ ختم به النبوة:

(١) رواه الإمام أحمد (٣/٣٨٧)، وحسن الألباني لشواهدة في «الإرواء» (١٥٨٩)، وانظر «المشكاة» (١/٦٣).

(٢) رواه البخاري - واللفظ له - انظر «الفتح» (١/٥٥٣)، ومسلم (٥٢١).

قال الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

ومن خصائمه أن الله ﷻ أرسله رحمة للعالمين:

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴾

قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]: «لجميع الخلق: للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، وللكافر بتأخير العذاب»^(٢).

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، ادعل على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعانا، وإ، ما بعثت رحمة».

ومن خصائمه أن الله ﷻ أقسم بحياته:

ولم يقسم بحياة أحد من البشر غيره، وهذا يدل على شرف حياته عند المقسم بها،

قال الله ﷻ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ [الحجر: ٧٢].

(١) رواه مسلم (٥٢٣).

(٢) انظر «الشفاء» للقاضي عياض (١/٥٧).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٩).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى خاطبه بالنبوة والرسالة زيادة في التشريف دون سائر الأنبياء والمرسلين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن منادته باسمه: بل يخاطبونه: يا رسول الله، يا نبي الله:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه أوتي جوامع الكلم، واختتم له الحديث اختتاماً، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن مفاتيح خزائن الأرض بيده، وهي ما سهل الله سبحانه وتعالى له ولأمته من بعده:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عقبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً، فصلى على أهل أحد صلته على الميت، ثم اصنصرف على المنبر، فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد

(١) تقدم تحريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

عليكم، وإني -والله- لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني -والله- ما أخفا عليكم أن تركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحان الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١]

قال ابن كثير رحمته الله: «هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره: غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وهذا فيه تشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم» (١).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن معجزة كل نبي تصرمت وانقرضت، ومعجزاته محفوظة بحفظ الله:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ [الحجر: ٩].

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم معجزة الإسراء والمعراج:

فقد أسري به صلى الله عليه وسلم ببدنه وروحه يقظة من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس - في جنح الليل، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى، ثم إلى حيث شاء الله سبحان الله، ورجع مكة من ليلته.

قال الله سبحان الله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]

-أيها الناس-، تلك بعض خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا.

وقد اختص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصائص في الآخرة، ولم يعطاها غيره من الأنبياء عليهم السلام:

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٨).

مما يدل على منزلته وعظيم قدره عند ربه ﷺ، ومن ذلك الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود، والحوض، والكوثر، واللواء، وغير ذلك.

فمن خصائصه ﷺ **في الآخرة:**

أن الله ﷻ يعطيه الوسيلة والفضيلة، وهي أعلى درجة في الجنة، لا ينلها إلا عبد واحد من عباد الله، وهو رسولنا ﷺ.

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت عليه شفاعتي يوم القيامة».

ومن خصائصه ﷺ **في الآخرة المقام المحمود:**

ومن ذلك المقام المحمود -أيها الناس- الذي يقومه ﷺ فيحمده الخالق ﷻ والخلائق من بعده.

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ فَتَهَجَدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧١)

[الإسراء: ٧٩]

والمراد بالمقام المحمود -أيها الناس-: هو الشفاعة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المقام المحمود: مقام الشفاعة»^(٢)

قال ابن بطلان رحمته الله: «والجمهور على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وبالغ الواحدي فنقل فيه الإجماع»^(١).

(١) رواه البخاري (٦١٤).

(٢) رواه ابن جرير انظر «التفسير» (٩٧/١٥)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥٨/٣).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم في الآخرة أن الله سبحان الله أعطاه دعوة مستجابة:

فجعلها للمذنبين من أمته لكونهم أحوج إليها من الطائعين، وهذا من كمال شفقتة على أمته، ورأفته بهم.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً». أستغفر الله.

الخطبة الثانية: خصائص النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، قادم الحديث حول ما اختص به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

والآن حديثي معكم حول ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون أمته، وقد شاركه في بعضها إخوانه الأنبياء.

فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم دون أمته الوصال في الصيام:

(١) «فتح الباري» (١١ / ٤٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لست كأحد منكم؛ إني أطعم وأسقى».

قال النووي: «قال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرمت على الأمة»^(٢).

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم دون أمته الزواج من غير ولي ولا شهود:

لقد انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمته في هذين الحكمين، فأباح الله تعالى له الزواج بغير ولي ولا شهود تشريفاً وتكريماً لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم.

قال العلماء: «إنما اعتبر الولي في نكاح الأمة للمحافظة على الكفاءة، وهو صلى الله عليه وسلم فوق الأكفاء، وإنما اعتبر الشهود لأمن الجحود، وهو صلى الله عليه وسلم لا يجحد»^(٣).

وبرهان هذا الحكم في حقه ما جاء في «صحيح البخاري»^(٤) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات».

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم دون أمته الجمع بين أكثر من أربعة نسوة:

قال الشافعي رحمته الله: «دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة».

(١) رواه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (١١٠٢).

(٢) انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (٧/٢١٢).

(٣) انظر «موسوعة نضرة النعيم» (١/٥٠٨).

(٤) رواه البخاري (٧٤٢٠).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء»^(١).

ومن خصائمه أن أزواجه أمهات المؤمنين إكراما وإجلالا لعبدته ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

قال الله سبحان الله: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]

ومن خصائمه دون أمته أن رؤيته في المنام حق: صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

فمن رآه في المنام كان كمن رآه في اليقظة.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «من

رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي».

قال العلماء: إن هذه الرؤيا مشروطة بأن يراه الرائي على صورته التي كان عليها في

الحياة الدنيا، والتي جاءت مفصلة في الأحاديث.

قال الحافظ ابن كثير: «واتفق على أن من نقل عنه حديثا في المنام أنه لا يعمل به لعدم

الضبط في رواية الرائي؛ فإن المنام محل تضعف فيه الروح وضبطها»^(٣).

ومن خصائمه دون أمته أنه من استهان به، أو سبه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه

وقد أجمعت الأمة على قتل منتقمه وسابه:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

مُهِينًا ﴿٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧].

(١) انظر (تفسير ابن كثير) (١/ ٤٦٠).

(٢) رواه البخاري (٦٩٩٤)، ومسلم (٢٢٦٦).

(٣) انظر «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (٢٩٨، ٢٩٩).

وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]

فكل من استهان برسول الله ﷺ، أو سبه، أو عابه، أو أحق به نقصا في نفسه، أو له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له فإنه يقتل كفرا^(١).

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعمى كانت له أم ولد، تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول (وهو سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه) فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجلها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس، فقال: «أنشد الله رجلا فعل ما فعل، لي عليه حق إلا قام» فقام الأعمى يتخطى الناس، وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة، جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول، فوضعت في بطنها، واتكأت ع ليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر».

وقد أجمعت الأمة -أيها الناس- على قتل من ﷻ النبي ﷺ أو انتقصه بأي وجه من الوجوه:

- (١) انظر «نصرة النعيم» (١/٥١٢). وهذا الكتاب استفدت منه في هذه الخطبة، وأنصح باقتنائه فهو كتاب مفيد للخطيب والواعظ، بل من أحسن ما ألف في هذا الباب.
- (٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٣٢٦١)، وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (٣٦٦٦).

قال ابن المنذر رحمته الله: «أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقتل»^(١)

وقال محمد بن سحنون رحمته الله: «أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنتقص له كافر، والعيد جار عليه بعذاب الله، وحكمه عند الأمة القتل»^(٢).

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا.

اللهم إنا نسألك كل خير خزائنه بيدك، ونعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك.

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/٤٧٤).

(٢) المرجع السابق (٢/٤٧٦).

الخطبة الأولى: حب النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، - أيها الناس -، إن الله ﷻ وهب نبينا محمداً ﷺ من الخصال الحميدة، والصفات العلية، والأخلاق المرضية مما كان داعياً لكل مسلم أن يجعله ويعظمه بقلبه ولسانه وجوارحه، فحقه علينا محبته، وطاعته واتباعه، وتوقيره واحترامه من غير غلو ولا تفريط.

فحب النبي ﷺ من الإيمان:

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»^(١) من حديث عبد الله بن هاشم رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: «فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي». فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الآن يا عمر».

يقول العلامة العيني رحمته الله في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الآن يا عمر»: «أي: الآن كمل إيمانك»^(٢).

-أيها الناس-، إنه يجب أن تكون محبتنا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فوق محبة الوالد والولد، بل فوق محبة الأهل، والمال، والناس أجمعين.

فقد أخرج البخاري في «صحيحه»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فو الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من أهله، وماله، والناس أجمعين».

(١) رواه البخاري (٣٦٩٤).

(٢) «عمدة القارئ» (١٦٩/٢٣).

(٣) رواه البخاري (١٤).

(٤) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٦٩).

- أيها الناس-، إنه ليلبغ التشريف لمن قصد المحبة مبلغه كما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رأني بأهله وماله».

ألا يا محب المصطفى زد صبابة ❀❀❀ وضمخ لسان الذكر منك بطيبه

ولا تعبأن بالمبطلين؛ فإنها ❀❀❀ علامة حب الله حب حبيبه

- أيها الناس-، إن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست دعوى باللسان، ولا هيأما بالوجدان، وليست ترانيم تغنى، ولا قصائد تنشد.

فمحبتة تكون في اتباعه، والسير على هداه، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول صلى الله عليه وسلم **وهذه هي المحبة الحقيقية:** صلى الله عليه وسلم

وإلى ذلك أرشدنا الله سبحانه فقال سبحانه لنبينأ أن يوجه الخطاب إلى أمتة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١]

- أيها الناس-، لا يختلف اثنان في أن المحب لمن يحب مطيع، فكذلك من أحب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يحرص على اتباعه، ويسارع إلى تنفيذ أوامره، ويبادر إلى اجتناب نواهيه، فالعمل طوع المحبة الصادقة، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قسم العلامة ابن القيم المحبين إلى أقسام ثلاثة:

(١) البخاري (٣٥٨٩)، ومسلم (٢٨٣٢)، واللفظ له.

كما في كتابه «روضة المحيين»^(١): منهم من يريد من المحبوب، ومنهم من يريد المحبوب، ومنهم من يريد مراد المحبوب مع إرادته للمحسوب، وهذا أعلى أقسام المحيين.

تعصي الإله، وأنت تظهر حبه ❀❀❀ ذاك لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ❀❀❀ إن المحب لمن أحب مطيع

-أيها الناس-، كم من مواقف رائعة للصحابة البررة المحيين الصادقين لنبيهم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه تؤكد أنهم فهموا الحب الحقيقي في طاعة نبيهم في كل ما أمر، والانتفاء عما نهى عنه وزجر، وبذلك كمل إيمانهم.

-أيها الناس-، أذكر بعضاً من امثال المحابة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه لأوامره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه واجتناب نواهيه:

روى البخاري في «صحيحه»^(٢) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المدينة، صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]

فوجه نحو الكعبة، وصلى معه رجل العصر، ثم خرج، فمر على قوم من الأنصار، فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وأنه قد وجه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر».

(١) روضة المحيين (ص ٢٧٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٧٢٥٢).

الله أكبر، ما أسرع تأسيهم بالحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم! إنهم لم ينتظروا حتى ترفع رءوسهم من الركوع، بل بادروا بالتوجه إلى حيث توجه نبيهم وهم ركوع!.

ومن مبادرة الصحابة إلى طاعة الحبيب صلى الله عليه وسلم

ما روى البخاري في «صحيحه»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة رضي الله عنه وكان خمرهم يومئذ الضيخ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت. قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها. فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة».

وفي هذا يقول الحافظ ابن جدر كما في «الفتح»^(٢): «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراققتها، حتى جرت في الأزقة من كثرتها».

-أيها الناس-، إن الحب الصادق يولد الاستسلام المطلق، والانقياد الكامل، فالصحابه رضوان الله عليهم لم يحتجوا لعصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعادة والتعود، كما يفعله كثير من مسلمي زماننا، بل إنهم لم يراجعوا نبيهم بعد خبر الرجل، إن هؤلاء الصادقين في حبههم لينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

ومن الأدلة الدالة على حبههم لنبيهم أنهم لم يقفوا عند امتثال أمره، واجتناب نواهيه:

(١) رواه البخاري (٢٤٦٤).

(٢) «فتح الباري» (٣٩/١٠).

بل كانوا يتابعون أفعاله، ويلاحظون تصرفاته بحب وتقدير وشوق حرصا على الاقتداء به، فإذا وجدوه يفعل شيئا سارعا إلى فعله، وإذا رأوه ترك شيئا بادروا إلى الابتعاد عنه.

ومن الشواهد الرائعة الدالة على ذلك:

ما رواه الإمام أبو داود^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه، فوضعها عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما حملكم على إلقاء نعالكم؟!» قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن جبريل عليه السلام أتاني، فأخبرني أن فيها قدرا».

وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليُنظر، فإن رأى في نعليه قدرا أو أذى فليمسحه، وليصل فيهما».

كيف انطوت أيامهم، وهم الألى ❀❀ نشروا الهدى، وعلوا مكان
هجروا الديار، فأين أزمع ركبهم ❀❀ من يهتدي للقوم، أو من يقتدي؟
يا قلب، حسبك لن تلم بطيفهم ❀❀ إلى على مصباح وجه محمد

أيها الناس، إنه كما عرف المحابة الحب العاق، كان هذا الحب أيضا من المؤمنات العادقات:

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٦٠٥).

ومن الشواهد الدالة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود^(١) عن عبد الله بعمرو رضي الله عنه قال: «إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال: «أعطين زكاة هذا؟». قالت: لا. قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟» قال: فخلعتها فألقتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله».

ومن ذلك التصاق النساء بالجدار تنفيذا لأمره صلى الله عليه وسلم لهن بالمشي في حافات الطريق.

فقد روى الإمام أبو داود^(٢) بسند حسن من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد، فاختلف رجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحقن الطريق (أي تركبن حقها: وهو وسطها)، عليكن بحافات الطريق».

فكانت المرأة تلتصق بلاجدار، حتى إن ثوبها يتعلق بالدار من لصوقها به».

-أيها الناس-، إن الناظر في سيرة الصحابيات ليتعلم أن المسارعة في امتثال أمر نبيهن كان هو السائد فيهن.

يا مدعي حب طه، لا تخالفه ❀❀ الخلف يحرم في دنيا المحبينا
أراك تأخذ شيئاً من شريعته ❀❀ وترك البعض تدوينا وتهوينا
خذها جميعاً تجد خيراً تفوز به ❀❀ أو فاطرحها، وخذ رجس الشياطينا

(١) «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٢).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (٤٣٩٢).

-أيها الناس-، إن أهل المحبة الذي يعني الطاعة والانقياد والتسليم لا يشك مسلم في فرضيته:

كما قال ربنا ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

أستغفر الله.

الخطبة الثانية: حكم الاحتفال بالمولد

الحمد لله الذي أتم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد، -أيها الناس-، لا شك أن محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما تكون بتعظيمه وطاعته، وامتنال أمره، واجتناب نهيه.

وليس حبته صلى الله عليه وآله وسلم **بالبدعي والخرافات والمعاصي، والاحتفال بذكر المولد من هذا القبيل المذموم، فهو معصية لله؛** لأن الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعله، ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال عروة بن مسعود القرشي كما في «صحيح البخاري»^(١): «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله، إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدون إليه النظر تعظيما له».

ومع هذا العظيم وهذه المحبة ما جعلوا يوم مولده عيدا واحتفالا، ولو كان مشروعا ما تركوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي اقْتِضَاء الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ عَنِ الْمَوْلِدِ: «لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له، وعدم المانع منه».

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٣١).

وقال أيضا: «لو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف صلى الله عليه وسلم أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له، وهم على الخير أحرص».

وقال الفاكهاني في رسالته «المورد في الكلام على عمل المولد»: «لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، والمتمسكون بأثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اتعنى بها الأكالون».

-أيها الناس-، القاعدة الشرعية هي رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله؛ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَردُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

والرد إلى الله: هو الرجوع إلى كتاب الله الكريم، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: هو الرجوع إلى سنته بعد وفاته، فالكتاب والسنة هما المرجع عند التنازع، فأين في الكتاب والسنة ما يدل على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي؟!!

وقد ثبت في «الصحيحين»^(١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي: مردود عليه.

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»^(٢) من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، ونسنة

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، والترمذي (٢٦٧٦).

الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة».

فبين لنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث بمن نقندي بهم عند الاختلاف، كما بين أن ما خالف السنة من الأقوال والأفعال بدعة، وكل بدعة ضلالة.

-أيها الناس-، إن إحداث هذه الموالد يفهم منه أن الله تعالى لم يكمل الدين لهذه الأمة، وهذا خطر عظيم، فأين هذا من قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

بل ويفهم من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خان الرسالة، ولم يبلغ البلاغ المبين.

كيف ذلك والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك طريقا يوصل إلى الجنة، ويباعد عن النار إلا بينه للأمة كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رجلا من المشركين قال له: «قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم كل شيء حتى الخراءة!» فقال: «أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل مثلثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم».

(١) رواه مسلم () .

(٢) رواه مسلم (٢٦٢) .

-أيها الناس-، لا شك أن العواطف هي التي حدت بأولئك الجهلة إلى أن يتدعوا ولا يتبعوا، ولكن كيف نجمع بين حب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مع مخالفة أمره في النهي عن الإحداث في الدين، والضدان لا يجتمعان؟!

وقد جعل الله ميزان محبته ودليلها اتباع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فقال سبحان الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

اللهم إنا نسألك حب نبيك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والعمل الذي يبلغنا حبه من غير ابتداء، وأن تجعل حبه أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا.

الخطبة الأولى: النبي ﷺ كأنك تراه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صورته، فهم في غاية الكمال في خلقهم وخلقهم.

وكان نبينا ﷺ في قمة الكمال والجمال في خلقه وخلقته، فكان أجمل الناس، وأحسن الناس، لم يصفه واصف قط إلا شبهه بالقمر ليلة البدر.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في (مختصر الشمائل المحمدية) للترمذي^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيان (أي: مضيئة مقمرة)، فجعلت أنظر إليه، وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي إسحاق قال: سئل البراء بن عازب: «أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟» قال: «لا، بل مثل القمر».

قال الحافظ رحمته الله: «كأن السائل أراد أن مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء فقال: «بل مثل القمر» أي: في التدوير، ويحتمل أ، يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال، فقال: بل فوق ذلك، وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين في التدوير واللمعان»^(٣).

-أيها الناس-، إن شاء الله أصف لكم الحبيب صلى الله عليه وسلم وكأنه مائل أمامكم، وكأنكم ترونه.

-أيها الناس-، فمن ناحية لون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أزهر اللون: وهو الأبيض المستنير الناصع البياض.

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٨١٢)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» (ص ٢٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٢).

(٣) «فتح الباري» (٦/٦٦٢).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم: ليس بالطويل، ولا بالقصير، أزهر اللون: ليس بأبيض أمهق، ولا آدم، ليس بجعد قطط، ولا سبط رجل».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عن الجريري عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على وجه الأرض رجل رآه غيري» قال: فقلت له: «فكيف رأيتَه؟». قال: «كان أبيض مليحا مقصدا».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مشوبا بياضه بحمرة».

وأخرج الترمذي في كتابه «الشمال المحمدية» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض، صيغ من فضة».

ومما جاء في وصف وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أحسن الناس وجهها، فكان وجهه كالقمر والشمس مستديرا، عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العينين حمرة، أشكل العين، أسود الحدقة أدعج، أكحل العينين، دقيق الحاجبين سابهما، أزج، أقرن

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) مسلم (٢٣٤٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٦٣٨)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٤٩٧).

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمال» (ص ٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٩٥).

أبلج، وساع الجبين، أغر، أجلى، كأنه يتلأأ، وكأن العرق في وجهه كاللؤلؤ، وكان أسيل الخدين سهلها، أقى الأنف - والقنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه - ضليح الفم، حسن الثغر، براق الثنايا، إذا حضك كاد يتلأأ.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير».

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، صححه أحمد شاكراً في «ترتيب المسند»^(٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرباً بحمرة». ومعنى أهدب الأشفار أي: شعر أشفار عينيه كثير مستطيل.

والأشفار: جمع شفر - بالضم ويفتح -، والشفر: طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر، وهو الهدب.

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضليح الفم، أشكل العين، منهوس العقبين». قال: قلت لسماك: «ما ضليح الفم؟». قال: «عظيم الفم». قلت: «ما أشكل العين؟». قال: (طويل شق العين). قال: قلت: «ما منهوس العقب؟». قال: «قليل لحم العقب».

ومما جاء في وصف رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفة لحيته:

- (١) أخرجه أبو داود (١٩٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٧٥٨).
- (٢) رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٣٧).
- (٣) رواه أحمد في «مسنده» (٨٩/١)، وقال عنه أحمد شاكراً: إسنده صحيح، انظر «ترتيب المسند» (٨١، ٨٠/٢).

أنه كان كما أخبر واصفوه عظيم الرأس، ذا لحية عظيمة حسنة، كثير الشعر سوداء، كادت تملأ نحره، إذا تكلم في نفسه عرف ذلك من خلفه باضطرابها لعظمتها.

فقد أخرج الترمذي في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية»^(١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالطويل، ولا بالقصير، شن الكفين والقدمين (أي: غليظ الأصابع والراحة)، ضخم الرأس، ضخم الكراديس (أي: رءوس العظام)، طويل المسربة (أي أنه طويل الشعر الذي يبدأ من الصدر، وينتهي بالسرة)، إذا مشى تكفأً تكفؤاً، كأنها ينحط من صلب، لم أر قبله -ولا بعده- مثله صلى الله عليه وآله وسلم».

ومعنى قوله: «إذا مشى تكفأً» أي: يتمايل إلى قدام، وقيل: أن يرفع القدم من الأرض، ثم يضعها، ولا يمسح قدمه على الأرض كمشي المتبختر. ومعنى قوله: «كأنها ينحط من صلب» أي يرفع رجله من قوة وجلادة، ولا أشبه أن يتكفأً بمعنى صب الشيء دفعة، قاله المباركفوري رحمته الله^(٢).

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير شعر اللحية».

(١) رواه مسلم (٢٣٣٩).

(٢) «تحفة الأحوذى» للمباركفوري (٤٤٣/٥).

(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي معمر قال: قلت لخباب بن الأرت: «أكان النبي ﷺ يقرأ في الظهر والعصر؟» قال: «نعم». قال: قلت: «بأي شيء كنتم تعلمون قراءته؟». قال: «باضطراب لحيته».

ومما جاء في صفة شعر رسول الله ﷺ أنه كان:

رَجَلُ الشعر حسنه، فلم يكن شعره شديد الجعودة، ولا شديد السبوطه، بل بين ذلك، شديد السواد، يبلغ إلى أنصاف أذنيه، وتارة شحمة أذنه، وتارة بين أذنيه وعاتقه، وتارة يضرب منكبيه، وكان أول أمره قد سدل ناصيته بين عينيه، ثم فرقه بعد ذلك، فجعله فرقتين، وكان ربهما جعله غدائر أربعة -أي: صفائر- يخرج الأذن اليميني من بين غديرتين يكتنفانها، ويخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها، وتخرج الأذنان بياضهما من بين تلك الغدائر، كأنها توقد الكواكب الدرية من سواد شعره^(٢).

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ رَجَلُ الشعر: ليس بالسبط، ولا بالجعد القطط».

ومعنى رَجَلُ الشعر: أي الذي ليس شديد الجعودة، ولا شديد السبوطه، بل بينهما.

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه».

(١) رواه البخاري (٧٦١).

(٢) انظر «نصرة النعيم» (١/٤٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٣٨).

(٤) رواه مسلم (٢٣٣٨).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه (أي: إلى معلق القرط منها) عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم».

وفي لفظ البخاري: «له شعر يبلغ شحمة أذنيه إلى منكبيه».

وفي «الصحيحين»^(٢) أيضا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قل: «ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، شعره يضرب منكبيه». ولفظ البخاري: «إن جمته لتضرب قريبا من منكبيه».

واللثة: هي الشعر الذي ألم بالمنكبين (أي: قاربهما)، قاله ابن الأثير^(٣).

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم (أي: إرساله على الجبين، واتخاذها كالقصة)، وكان المشركون يفرقون رءوسهم (أي: يجعلونه فرقتين من وسطه)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته (والناصية: هي شعر مقدم الرأس)، ثم فرق بعد».

(١) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) رواه البخاري (٥٩٠١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٣) «جامع الأصول» لابن الأثير (١١/٢٣٣).

(٤) رواه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).

وأخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع المحمدية»^(١) من حديث أم هانئ بنت أبي طالب **رضي الله عنها** قال: «قدم رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** مكة (أي: يوم فتح مكة)، وله أربع غدائر وفي رواية: ضفائر».

وفي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع المحمدية»^(٢) من حديث عائشة **رضي الله عنها** قالت: «كنت أغتسل أنا رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** من إنياء واحد، وكان له شعر فوق الوفرة، ودون الجمرة».

ومما جاء في وصف منكب رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين.**

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث البراء بن عازب **رضي الله عنه** قال: «كان رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** بعيد ما بين المنكبين».

ومما جاء في وصف فراعني رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان شبح الذراعين أي طويلهما، وقيل: عريضهما.**

ففي «مسند الإمام أحمد» بسند حسن^(٤) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** في نعت رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** قال: «كان شبح الذراعين».

ومما جاء في وصف كفي رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان فخم اليدي، وبسط الكفين، والبسط: هو الزيادة في السعة:**

-
- (١) رواه أبو داود في «سننه» (٤١٩١)، وصححه الألباني في «مختصر الشرائع المحمدية» (ص ٣٥).
 (٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٣٧٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشرائع المحمدية» (ص ٣٥).
 (٣) رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).
 (٤) رواه الإمام أحمد (٢/٢٨٨).

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين والقدمين، حسن الوجه، لم أر بعده ولا قبله، مثله وكان بسط الكفين».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ (أي: في الصفاء والبياض)، إذا مشي تكفأ، ولا مست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ومما جاء في وصف الساقين والقدمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دقيق الساقين، وكان في ساقيه حموشة (أي: دقة)، وكان فخم القدمين، قليل لحم العقبيين:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «دفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهوب الأبطح في قبة، وكان بالهاجرة -وفيه- وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى وبيص ساقيه». قال ابن الأثير رحمه الله: (الوبيص: البريق).

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند صحيح^(٤) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تبيها، وكان في ساقيه حموشة».

وفي «صحيح البخاري»^(٥) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم المقدمين».

(١) رواه البخاري (٥٩٠٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم (٥٠٣).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٤٥).

(٥) رواه البخاري (٥٩٠٧).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهوس العقبين»: أي قليل لحم العقبين، والعقب: هو مؤخر القدم. وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: بعض صفة النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الحديث عن صفة الحبيب صلى الله عليه وسلم ذو شجون، وقد سبق بيان بعض تلك الصفات، وفيما يأتي ذكر بعضها ليكتمل العقد إن شاء الله.

ومما جاء في وصف شيب رسولا الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في رأسه ولحيته قليل من الشيب، وكان أكثر شيب رأسه في فودي رأسه -والفودان: حرفا الفرق-، وأكثر شيب لحيته في عنفته فوق الذقن -والعنفة: الشعيرات التي بين الشفة السفلى والذقن. وكان شيبه كأنه خيوط الفضة، يتلأأ بين ظهري سواد الشعر الذي معه.

وإذا مس ذلك الشيب الصفرة - وكثيرا ما يفعل ذلك، صار كأنه خيوط الذهب، يتلأأ بين ظهري سواد الشعر.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء». قال ربيعة: «فرايت شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر، فسألت، فقيل: من الطيب».

(١) رواه مسلم (٢٣٣٩).

وفي «الصحيحين»^(٢) عن محمد بن سيرين قال: سألت أنس بن مالك: أخضب رسول الله ﷺ - (أي: استعمل الخضاب: وهو ما يختضب به من حناء، وكتم، ونحوه). قال: «إنه لم ير من الشيب إلا قليلا».

في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ قد شمت (أي: ابتداء الشيب فيه) مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا ادهن ومشط لم يتبين، وإذا شعث رأسه تبين».

والشعث: هو بعد أن بعد العهد بالغسل، وتسريح الشعر، قاله ابن الأثير.

ومما جاء في وصف خاتم النبوة:

أنه كان على كتفه اليسرى مثل بيضة الحمامة، وهي بيضتها المعروفة.

ففي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في ناس من أصحابه، فدرت من خلفه، فعرف الذي أريد، فألقى الرداء عن ظهره، فرأيت موضع الخاتم على كتفيه مثل الجمع (أي: مثل جمع الكف: وهو هيئته بعد جمع الأصابع). كأنها ثاليل، فرجعت حتى استقبلته، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله. فقال: «ولك».

(١) رواه البخاري (٣٥٤٧)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٢) رواه البخاري (٥٨٩٤)، ومسلم (٢٣٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٣٤٤).

(٤) رواه مسلم (٢٣٤٦).

فقال القوم: أستغفر لك رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، ولكم. ثم تلا هذه الآية:

﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «كان وجه رسول الله ﷺ مثل الشمس والقمر مستديرا، ورأس الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع»^(٢) من حديث أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا زيد، ادن مني؛ فامسح ظهري». فمسحت ظهره، فوقعت أصابعي على الخاتم، قلت: وما الخاتم؟ قال: «شعرات مجتمعات».

ومما جاء في لباس رسول الله ﷺ

أنه كان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب البياض.

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشرائع» للترمذي^(٣) م حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ يلبسه القميص».

(١) رواه مسلم (٢٣٤٤).

(٢) رواه أحمد في «مسند» (٧٧ / ٥)، و صححه الألباني في «مختصر الشرائع» (ص ٣١).

(٣) رواه أبو داود (٤٠٢٥)، و صححه الألباني في «مختصر الشرائع» (ص ٤٦).

وأخرج أبو داود -أيضا- بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليكم بالبياض من الثياب، ليلبسها؛ ياؤكم، وكفنوا فيها موتاكم؛ فإنها من خير ثيابكم».

ومما جاء في وصف عمامته صلى الله عليه وآله وسلم.

أنه كان يلبس العمامة، يسدها بين كتفيه، ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صحح الألبان في «مختصر الشمائل»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه».

ومما جاء في وصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أن له قبلان، والقبلان: السير الذي فيه الشسع، الذي يكون بين إصبعي الرجل. ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «مختصر الشمائل»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما قبلان».

-أيها الناس-، تلك صفة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان لها أثرها العظيم في الدعوة والاستجابة لها، فكم من رجل دخل الإسلام بمجرد رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهدة نور وجهه، فهذا عبد الله بن سلام حبر اليهود وأعلمهم قبل إسلامه يقول كما عند الترمذي بسند

(١) رواه أبو داود (٤٠٦١)، وصححه الألبان في «مختصر الشمائل» (ص ٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٧٣٦)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص ٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٨٤٧)، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (ص ٥٣).

حسن صحيح^(١): «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه (ومعنى انجفل: أي أسرع)، وقيل: قدم رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما تأملت وجهه، واستثبته (أي تحققت)، عرفت أنه ليس بوجه كذاب».

هذا ونسأل الله أن يزعمها شكر نعمته، وأن يفقنا لأداء حقه، وحق نبيه ﷺ.

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٣٣٤)، والدارمي (١٤٦٠٨)، والحاكم (١٣/٣)، وقال: هذا حديث صحسح على شطر الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الخطبة الأولى: الصلاة على النبي ﷺ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن من أعظم نعم الله على عباده أن بعث فيهم رسوله محمداً ﷺ؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وللنبي ﷺ عليها حقوق كثيرة، منها الصلاة والسلام عليه ﷺ، فلا صلاة واسلام عليه من أجل العبادات، وأفضل الطاعات التي نتقرب بها إلى الله ﷻ.

وللصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فضائل كثيرة:

فمنها: أنها امتثال لأمر الله ﷻ القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) [الأحزاب: ٥٦]

ومنها: أن الله ﷻ يصلي على من صلى عليه: ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** قال: «من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشرة».

وروى النسائي بإسناد صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢)، من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** قال: «من ذكرت عنده فليصل علي، ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرة».

وفي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عامر بن ربيعة **رضي الله عنه** قال: سمعت رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** يقول: «ما من عبد يصلي علي إلا صلت عليه الملائكة، ما دام يصلي علي فليقل العبد من ذلك أون ليكثر».

ومنها: أن الصلاة والسلام عليه ترفع الدرجات، وتحط السيئات:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث أبي طلحة الأنصاري **رضي الله عنه** قال: أصبح رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** يوماً طيب النفس، يرى في وجهه البشر. قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيب النفس، يرى في وجهك البشر!. قال: «أجل، أتاني آت من عند ربي **ﷻ** فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة،

(١) رواه مسلم (٤٠٨).

(٢) رواه النسائي (ص ٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).

(٣) «المسند» (٣/ ٤٤٥)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٦٢٠).

(٤) «المسند» (٤/ ٢٩)، وانظر «صحيح الجامع» (٥٧).

كت الله له بها عشر حسنات، ومحأ عنه عشر سئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه
مثله»

وروى الإمام أحمد في «مسنده»، والنسائي في «سننه» واللفظ له بسند صحيح،
صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه
عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات».

ومنها: أن اهلاة والسلام عليه كفاية الهموم، ومغفرة الذنوب:

أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، ÷ والترمذي في «سننه» بسند حسن صحيح كما قال
الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢): من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت:
يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت».
قال: قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك» قالت: النصف؟
قال: «ما شئت، فإن زدت خير لك». قال: قلت: ثلثين؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو
خير لك».

قال: أجعل لك صلاتي كلها. قال: «إذا تكفى همك، ويغفر ذنبك».

قال المنذري رحمته الله قوله: «أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي؟» معناه: أكثر
الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك^(٣).

(١) «المسند» (١٠٢/٣)، وانظر (صحيح الجامع) (٦٢٣٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٣٦/٥)، والترمذي (٢٤٥٧)، وانظر (صحيح الترغيب والترهيب) (١٦٧٠).

ومنها: أن الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم سبب لنيل شفاعته:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا علي؛ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

ومنها: أنها سبب لعرض اسم المهطي على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فقد أخرج الديلمي في «مسند الفردوس» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا الصلاة علي؛ فإن الله وكل بي ملكا عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك: يا محمد، إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة».

وروى البزار بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ملكا أعطاه سمع العباد، فليس من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها، وإني سألت ربي ألا يصلي علي عبد صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها».

(١) «الترغيب والترهيب» (٢/٥٠١).

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) الديلمي في «مسند الفردوس» (١/٩٣)، وانظر (صحيح الجامع) (١٢١٨).

(٤) رواه البزار (٣٠٦)، «صحيح الجامع» (٢١٧٦).

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض، يبلغونني عن أمتي السلام».

ومنها: أن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طهارة من لغو المجلس:

ففي «مسند الإمام أحمد صحيح»^(٢)، صححه الألباني في «صحيح الجامع» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما قعد قوم مقعدا، لا يذكرون الله عز وجل، ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة للشواب».

ومنها: أن الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبب في إجابة الدعاء:

فقد أخرج ابن مخلد في «المنتقى» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كل دعاء محجوب، حتى يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

ومنها: أن الصلاة والسلام على رسو الله سبب لانتفاء البخل عن الشخص:

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن^(٤) من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البخيل من ذكرت عنده، فلم يصل علي».

ومنها: أنها سبب للوقاية من النار:

ففي «صحيح ابن حبان» بسند صحيح لغيره^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر، فقال: «أمين، أمين». قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر

(١) «المسند» (٣٨٧/١)، وانظر «صحيح الجامع» (٢١٧٠).

(٢) «المسند» (٤٦٣/٢)، وانظر «صحيح الجامع» (٧٥٠٠).

(٣) رواه ابن مخلد في «المنتقى» (٧٦/١)، وانظر «صحيح الجامع» (٤٢٩٩).

(٤) رواه الترمذي (١٤٥٦).

قلت: آمين، آمين، آمين؟. قال: «إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان، ولم يغفر له، فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين. ومن أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يبرهما، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين ومن ذكرت عنده، فلم يصل عليك، فمات فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين».

-أيها الناس-، تلك بعض فضائل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لكن كيف نصلي عليه؟

-أيها الناس-، لكي تكون أعمالنا مقبولة عند الله؛ لا بد من تحقيق أمرين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر:
الأول: إخلاص العمل لله.

والثاني: أن يكون هذا العمل موافقا لما جاء به رسول الله ﷺ.

وها هو رسول الله ﷺ يعلمنا كيف نصلي عليه:

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟. فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد، وأزواجه، وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وأزواجه، وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

(١) رواه ابن حبان (٢٣٨٦)، وحسن الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٩).

وفي «صحيح البخاري»^(١) -أيضا- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلت: بلى، فأهدها لي. فقال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم. قال: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي مسعود قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم».

أستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٦٣٥٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠).

(٣) رواه مسلم (٤/١٢٣) مع شرح النووي.

الخطبة الثانية: الصلاة على النبي ﷺ

الحمد لله حق حمده، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق الحديث عن فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، مع ذكر كيفية الصلاة عليه ﷺ كما شرع الله على لسان نبيه، لا ما أحدثه الناس من الصلوات التي ليس لها ذكر صحيح عن رسول الله ﷺ.

-أيها الناس-، حديثي معكم الآن حول مواطن تشرع فيها الصلاة على رسول الله ﷺ فمنها: في آخر التشهد:

قد أجمع المسلمو على مشروعيته، وهي واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم. لما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال له بشير بن سعد رضي الله عنه: قد أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم».

وفي «مسند الإمام أحمد»^(٢) بسند حسن من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال

(١) بتقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد (٦/١٨).

النبي ﷺ: «عجل هذا». ثم دعاه، فقال له -أو لغيره-: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله، والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء».

ومن مواطن الصلاة عليه في صلاة الجنائز بعد التكبير الثانية:

فقد أخرج إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه «فضل الصلاة على النبي ﷺ»، وصححه الألباني في تعليقه على الكتاب^(١) عن سعيد بن المسيب أنه قال: «إن السنة في صلاة الجنائز أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي ﷺ، ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة، ثم يسلم في نفسه».

ومن مواطن الصلاة على رسول الله ﷺ بعد الأذان:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة، حلت له الشفاعة».

ومن مواطن الصلاة عليه عند الدعاء:

فقد أخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند صحيح^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر، وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء

(١) «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ص ٧٩) بتحقيق الألباني.

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) رواه الإمام الترمذي في «سننه» (٥٩٣)، وقال: حديث حسن صحيح، وقال محقق

«جامع الأصول» (٤/١٥٦): حسن.

على الله تعالى، ثم بالصلاة على النبي ﷺ، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي ﷺ: «سل تعطه، سل تعطه».

ومن مواطن الصلاة عليه عند دخول المسجد والخروج منه:

فقد أخرج ابن خزيمة بسند صحيح^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم على النبي ﷺ وليقل: الله افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم، أجرني من الشيطان الرجيم».

ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره

فقد روى النسائي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ذكرت عنده فليصل علي؛ فإنه من صلى علي مرة، صلى الله عليه عشرة».

ومن مواطن الصلاة عليه عند طرفي النهار:

فقد أخرج الهثمي في «مجمع الزوائد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي حين يصبح وحين يمسي عشرة، أدركته شفاعتي يوم القيامة».

ومن مواطن الصلاة عليه يوم الجمعة وليلتها:

(١) أخرجه ابن خزيمة (٤٥٢).

(٢) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٥٧).

(٣) «مجمع الزوائد» (١٠/١٢٠)، وانظر «صحيح الجامع» (٦٢٣٣).

فقد أخرج أبو داود بسند صحيح، صحهه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفي قبض، وفي النفخة، وفيه الصعقة؛ فأكثرُوا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي». قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك وقد أرمت (أي: بليت)؟! فقال: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء».

وروى البيهقي في «سننه» بإسناد حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا الصلاة علي في يوم الجمعة؛ فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت عليه صلاته».

وروى الحاكم في «مستدرکه» بسند صحيح، صحهه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا الصلاة علي في يوم الجمعة؛ فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته».

-أيها الناس-، تلك جملة مواطن تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

وليست تلك المواطن هي التي تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط، كلابل تشرع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره وقد تقدم الدليل على ذلك وتشرع الصلاة عليه في كل زمان ومكان عدا الأماكن التي لا يشرع فيها ذكر الله: كالحمام.

(١) رواه أبو داود (١٠٤٧)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٧٤).

(٢) رواه البيهقي (٢٤٩/٣)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢٢٠).

(٣) رواه الحاكم (٤٢١/٢)، وانظر «صحيح الجامع» (١٢١٦).

فقد أخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسند حسن^(١) ٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي؛ فإي، صلاتكم معروضة، تبلغني حيث كنتم».

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الخطبة الأولى: أهمية الصلاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٣٦٧).

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن أهمية الصلاة، فهي أفضل الأعمال بعد الشهادتين، بل إنها حية القلوب، وبرهان على شكر المحسن والاعتراف بالجميل، وهي (أي الصلاة) واجبة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة على كل مسلم بالغ عاقل.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

والأدلة من الكتاب والسنة في فرضية الصلاة كثيرة.

وقد نقل الإمام ابن قدامة في كتابه «المغني»^(٣) إجماع الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (٥٠/١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «المغني لابن قدامة (٦/٣).

وأما أهمية الصلاة -أيها الناس- فإن ذلك لا يكاد يحصر:

فمنها أن الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وإذا سقط العمود سقط ما بني عليه:

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «إرواء الغليل»^(١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد».

ومما يدل على أهميتها أيها الناس أنها أول ما يحاسب عليه العبد من عمله، فملاح عمله وفساده بملاح ملاته وفسادها:

فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر علمه، وإن فسدت فسد سائر عمله».

وفي رواية: «أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته، فإن صلحت فقد أفلح [وفي رواية: وأنجح]، وإن فسدت فقد خاب وخسر».

ومما يدل على أهميتها أنها آخر ما يفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتنقضن عرى

(١) «المسند» (٥/٢٣١)، و«سنن الترمذي» (٢٦١٦)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٢/١٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/٤٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/٣٤٦).

(٣) «المسند» (٥/٢٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٢٩).

الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضا الحكم، وآخرهن الصلاة».

-أيها الناس-، تلك بعض الأدلة التي تدل على أهمية الصلاة، وأما فضائلها فأكثر من أن تحصر:

فمن فضائلها أنها تغسل خطايا بني آدم:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا». والدرن: هو الوسخ.

قال الإمام ابن العربي رحمته الله: «وجه التمثيل أن المرء يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثوبه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب، حتى لا تبقي له ذنبا إلا أسقطته وكفرته، والله أعلم»^(٢).

ومن فضائلها أنها تكفر السيئات:

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنب الكبائر».

(١) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٢) «حاشية صحيح الترغيب والترهيب» (١/٢٦٣).

(٣) رواه مسلم (٢٣٣).

ومن فضائلها أنها أفضل الأعمال بعد الشهادتين:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

قال: «حثني بهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو استزدته لزداني».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن أفضل الأعمال؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة». قال: ثم مه؟ قال: «ثم الصلاة». قال: ثم مه؟ قال: «ثم الصلاة». قال: ثم مه؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

وأخرج الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن».

ومن فضائلها أنها سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار:

(١) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧)

(٢) أخرجه أحمد في «مسند» (١٣٢/٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٨).

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (١٣٠/١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٩).

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث حنظلة الكاتب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس: ركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وعلم أنهن، من عند الله دخل الجنة أو قال: وجبت له الجنة، أو قال: حرم على النار».

ومنها أنها سبب لرفع الدرجات:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث مطرف قال: قعدت إلى نفر من قريش، فجاء رجل، فجعل يصلي ويركع، ويسجد ولا يقعد، فقلت: والله، ما أرى هذا يدري ينصرف على شفع، أو على وتر؟. فقالوا: ألا تقوم فتقول له؟ قال: فقلت: يا عبد الله، ما أراك تدري تنصرف على شفع، أو على وتر!.

قال: ولكن الله يدري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «من سجد سجدة، كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له درجة». فقلت: من أنت؟ فقال: أبو ذر. فرجعت إلى أصحابي، فقلت: جزاكم الله من جلساء شر!، أمرتموني أن أعلم رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه!

وأخرج الإمام الترمذي بسن صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٣) من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

(١) رواه أحمد في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨١).

(٢) رواه أحمد (٥/١٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٦).

يقول: «ما من عبد يسجد لله سجدة إلا كتب له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة؛ فاستكثروا من السجود».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: «كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاري، فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبت عنده، فلا أزال أسمع يقول: «سبحان الله، سبحان الله، سبحان ربي» حتى أمل، أو تغلبنى عيني فأنام، فقال يوماً: «يا ربيعة، سلني فأعطيك». فقلت: أنظرنني حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا فانية منقطعة، فقلت: يا رسول الله، أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار، ويدخلني الجنة. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «من أمرك بهذا؟». قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه؛ فأحببت أن تدعو الله لي قال: «إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود».

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٢) من حديث عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء».

ومن فضائلها أنها سبب للنجاة من النار:

- (١) أخرجه أحمد (٥٩ / ٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٨٨).
- (٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٠٤ / ١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١).

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يبعث مناد عند كل صلاة فيقول: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتمون على أنفسكم، فيقومون، فتسقط خطاياهم من أعينهم، ويصلون، فيغفر لهم ما بينهما، ثم توقدون فيما بين ذلك، فإذا كان عند الصلاة الأولى نادى: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم، فيقومون فيتطهرون، ويصلون الظهر، فيغفر لهم ما بينهما، فإذا حضرت العصر، فمثل ذلك، فإذا حضرت المغرب فمثل ذلك، فإذا حضرت العتمة فمثل ذلك، فينامون وقد غفر لهم، فمدلج في خير، ومدلج في شر».

-أيها الناس-، تلك بعض فضائل الصلاة، فحافظوا عليها؛ فإنها آخر وصية أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «إرواء الغليل»^(٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم». حتى جعل نبي الله صلى الله عليه وسلم يجعلها في صدره، وما يفيض بها لسانه. وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: حكم تارك الصلاة

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٩/٣) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٠/٦)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٣٨/٧).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن بعض أهمية الصلاة، ومع ذكر شيء من فضائلها، والآن حديثي معكم عن حكم تاركها.

-أيها الناس-، لا شك أن ترك الصلاة المفروضة كفر، فمن تركها جاحدا لوجوبها كفر كفرا أكبر بإجماع أهل العلم، ولو صلى^(١)، أما من ترك الصلاة بالكلية ومعتقد وجوبها ولا يجحدها فإنه يكفر، والصحيح من أقوال أهل العلم أن كفره أكبر، يخرج مشن الإسلام لأدلة منها:

أولا: الأدلة من الكتاب العزيز:

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٤٢) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ

ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فوجه الدلالة من الآين: أنه سبحانه أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بحكمه، ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم ضد المسلمين، فقال: (يوم يكشف عن ساق) وأنهم يدعون إلى السجود لربهم تبارك وتعالى، فيحال بينهم وبينه، فلا يستطيعون السجود مع المسلمين عقوبة لهم على ترك السجود له مع المصلين في دار الدنيا، وهذا يدل على أنهم مع الكفار

(١) انظر «تحفة الإخوان بأجوبة تتعلق بأركان الإسلام» لسماحة الشيخ ابن باز (ص ٧٣).

والمناققين، الذين تبقى ظهورهم - إذا سجد المسلمون - كميامن من البقر، ولو كانوا من المسلمين، لأذن لهم بالسجود كما أذن للمسلمين»^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا

﴿٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

قال ابن القيم رحمه الله: «ووجه الدلالة أن الله سبحانه جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة، واتبع الشهوات، ولو كان من عصاة المسلمين، لكانوا في الطبقة العليا من طبقات النار، ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو أسفلها، فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام، بل من أمكنة الكفار»^(٢).

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١].

قال ابن القيم رحمه الله: «فلما كان الإسلام تصديق الخبر، والانتقاد للأمر، جعل سبحانه له ضدين: عدم التصديق، وعدم الصلاة، وقابل التصديق بالتكذيب، والصلاة بالتولي، فقال: (ولكن كذب وتولى) فكما أن المكذب كافر، فالتولي عن الصلاة كافر، فكما يزول الإسلام بالتكذيب، يزول بالتولي عن الصلاة»^(٣).

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١].

قال المروزي رحمه الله: «فبين أن علامة أن يكون من المشركين ترك الصلاة»^(٤).

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص ٥٣).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٧-٥٨).

(٣) المرجع السابق (ص ٥٨).

(٤) «الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٢/١٠٠٥، ١٠٠٦).

وقال الله ﷻ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]

قال ابن القيم رحمه الله: «فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعدوا، لم يكونوا إخوة للمؤمنين، فلا يكونوا مؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الخجرات: ١٠]»^(١).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين الرجل، وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

وأخرج الإمام النسائي، والترمذي، وابن ماجه^(٣) بسند صحيح، عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

وهذا الحديث -أيها الناس- وما قبله ظاهر الدلالة جدا على كفر تارك الصلاة.

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر، وكان يسمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار».

ووجه الدلالة: أن عدم الأذان دليل على عدم الصلاة، وأن عدم الصلاة دليل على أن القرية مشركة بالله ﷻ، ظاهر هذا في الإغارة على المشركين.

(١) «الصلاة» لابن القيم (ص ٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

(٣) أخرجه النسائي (٤٦٣)، والترمذي (٢٦٢٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وصححه الألباني

في «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٠)، ومسلم (٣٨٢).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عبادة بن الصامت قال: «دعانا النبي ﷺ، فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء، فتعرفون، وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا».

ووجه الدلالة: أن حديث عبادة حرم منازعة ولاية الأمور، إلا إذا أتوا بكفر بواحا، فيه بينة وبرهان من عند الله سبحان الله على أنه كفر بواحا. وفي حديث أم سلمة حرم النبي ﷺ مقاتلة الأمراء، إلا إذا تركوا الصلاة لقوله: «لا، وما صلوا»، فدل مجموع الحديثين على أن تارك الصلاة وقع في الكفر البواحا، الذي قامت الأدلة على أنه كفر صريح، وهذا من أقوى الأدلة، والله أعلم.

ثالثا: إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة:

وقد حكى إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة غير واحد من أهل العلم. فقد أخرج الترمذي في «سننه»^(٣) عن عبد الله بن شقيق رضي الله عنه قال: «كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة».

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢١).

-أيها الناس-، ذكرت لكم القول الراجح من أقوال أهل العلم.

وأما من قال بعدم كفر تارك الصلاة فقوله إنما يلتقي مع القول الراجح في أن تركها من أعظم الأسباب الموصلة إلى الكفر، فقد قال الإمام ابن الخراط وهو ممن يرجح عدم كفر تارك الصلاة: «واعلم رحمك الله أن ترك الصلاة وإن لم يكن كفرا كما قال أولئك رضوان الله عليهم فإنه أعظم الأسباب الموصلة إلى الكفر، الداعية إلى شؤم العاقبة، وسوء الخاتمة»^(١).

وأخيرا أسأل الله العظيم الحليم العليم، أن يفقهنا في الدين، ويجعلنا هداة مهتدين.

(١) «الصلاة والتهجد» لابن الخراط (ص ٩٦).

الخطبة الأولى: صلاة الجماعة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠]

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس- حديثي معكم اليوم حول صلاة الجماعة في المساجد، التي هي أفضل البقاع وأطهرها على وجه الأرض.

قال الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمَهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ

﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا يُبَّعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [٣٧] لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦، ٣٨]

-أيها الناس-، إن صلاة الجماعة فرض عين، وهذا هو المنصوص عن أئمة السلف وعلماء الحديث، لكنها ليست بشرط لصحة الصلاة، فلو تركها المسلم بدون عذر يأتهم، وصلاته صحيحة.

والأدلة على وجوب صلاة الجماعة كثيرة، فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]

ووجه الدلالة -أيها الناس-: أن الله ﷻ أمرهم بالصلاة مع الجماعة، ثم أعاد الأمر ثانية في حق الطائفة الثانية بقوله: (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) وفي هذا دليل على أن الجماعة فرض على الأعيان، إذ لم يسقطها سبحانه عن الطائفة الثانية بفعل الأولى، وهذا في حال الحرب والخوف، فكيف بحال السلم والأمن؟!

لا شك أنه أولى وأكد، ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة مع الجماعة، لكان المصافون للعدو، المهددون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة مع الجماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز التخلف عن ذلك^(١).

ومن الأدلة أيضا قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]

فهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

(١) انظر «وجوب الصلاة مع الجماعة» لمحمد الحربي (ص ١٣، ١٤).

قال العلامة ابن باز رحمته الله: «وهذه الآية نص في وجوب الصلاة مع الجماعة، والمشاركة للمصلين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها فقط، لم تظهر مناسبة واضحة في ختم الآية بقوله سبحانه: (واركعوا مع الراكعين) لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية»^(١).

وقال الله سبحان الله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]

فالأمر يقتضي الوجوب

وقال الله سبحان الله: ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [٤٤] خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ

تَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلَامُونَ ﴿٤٣﴾ [القلم: ٤٢].

قال ابن القيم رحمته الله عند هذه الآية: «ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه اقبلهم يوم القيامة بأن حال بينهم وبين السجود، لما دعاهم إلى السجود في الجماعة، لا فعلها في بيته وحده، فهكذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإجابة، وقد قال غير واحد من السلف في قوله تعالى: (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) قال: هو قول المؤذن: حي على الصلاة، حي على الفلاح، وحي هنا اسم فعل أمر، معناه: أقبل وأجب، وهو صريح في أن إجابة هذا الأمر بحضور الجماعة، وأن المتخلف عنها لم يجبه»^(٢).

وأما الأدلة من السنة -أيها الناس- فأكثر من أن تحصر، فمنها:

(١) انظر «ثلاث رسائل في الصلاة» للشيخ ابن باز (ص ١٦).

(٢) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص ٤٦٠، ٤٧٥).

ما رواه الشيخان في «صحيحهما»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو ممراتين حسنتين لشهد العشاء».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في «الفتح»: «وأما حديث الباب فظاهر في كونها فرض عين؛ لأنها لو كانت سنة، لم يهدد تاركها بالتحريق المذكور، ولا يمكن أن يقع في حق تاركها فرض الكفاية كمشروعة قتال تاركها فرض الكفاية، وفيه نظر؛ لأن الذي قد يفضي إلى القتل أخص من المقاتلة، ولأن المقاتلة إنما تشترع فيها إذا تملاً الجميع على الترك»^(٢).

وقال الإمام ابن دقيق العيد رحمته الله: «فمن قال بأنها واجبة على الأعيان قد يحتج بهذا الحديث، فإنه إن قيل بأنها كفاية، فقد كان هذا الفرض قائماً بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، وإن قيل إنها سنة فلا يقتل تارك السنن؛ فتعين كونها فرضاً على الأعيان»^(٣).

وقال الإمام ابن المنذر رحمته الله: «وفي اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحرق على قوم تخلفوا عن الصلاة في المساجد أبين البيان على وجوب فرض الجامعة؛ إذ غير جائز أن يتهدد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تخلف عن ندب، وعماً ليس بفرض قال: ويؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً خرج من المسجد بعدما أذن المؤذن فقال: «أما هذا فقد عصى أبا القاسم» رواه

(١) رواه البخاري (٦٤٤) واللفظ له، ومسلم (٦٥١).

(٢) «فتح الباري» (١٢٥ / ٢).

(٣) «إحكام الأحكام» (١ / ١٦٤).

مسلم في «صحيحه». ولو كان المرء مخيرا في ترك الجماعة وإتيانها لم يجز أن يعصى من تخلف عما لا يجب عليه أن يحضره، وإنما لما أمر الله جل ذكره بالجماعة في حال الخوف، دل على أن ذلك في حال الأمن أوجب، والأخبار المذكورة في أبواب الرخصة لأصحاب الأعذار تدل على فرض الجماعة على من لا عذر له»^(١).

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى، فقال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له، فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم. قال: «فأجب».

قال الإمام ابن قدامة رحمته الله في «المغني»: «وإذا لم يرخص للأعمى الذي لم يجد قائدا، فغيره أولى»^(٣)

-أيها الناس-، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرخص للأعمى في ترك صلاة الجماعة في المسجد، مع ما أبداه من الأعذار: من كونه كفيف البصر، وليس له قائد يلازمه، ومن كون داره بعيدة، وأن بينه وبين المسجد واديا، ومن أن المدينة كثيرة الهوام والسباع، ورغم هذه الاعتبارات كلها لم يرخص له النبي صلى الله عليه وسلم، بل قال: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم. قال: «فأجب»^(٤).

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص ٨٦).

(٢) رواه مسلم (٦٥٣).

(٣) «المغني» (١٣٠/٢).

(٤) انظر «صلاة الجماعة» للسدلان (ص ٦٣).

أخرج الإمام أبو داود بسن حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ابن أم مكتوم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أناضير (أي: أعمى)، شاسع الدار (أي: بعيد الدار)، ولي قائد لا يلايمني (أي: لا يلازمي)، فهل تجدي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «تسمع النداء؟». قال: نعم. قال: «ما أجدل لك رخصة».

قال ابن المنذر رحمته الله: «ذكر حضور الجماعة على العميان وإن بعدت منازلهم عن المسجد يدل ذلك على أن شهود الجماعة فرض لا ندب، وإذا قال لابن أم مكتوم وهو ضير «لا أجدل لك رخصة»، فالبصير أولى ألا تكون له رخصة»^(٢).

وقال الإمام الخطابي في «معالم السنن»^(٣): «وفي هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبا لكان أولى من يسعه التخلف عن أهل العذر والضعف، ومن كان في مثل حال ابن أم مكتوم».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فهذا الدليل مبني على مقدمتين: إحداهما: أن هذه الإجابة واجبة.

والثانية: لا تحصل إلا بحضور الجماعة، وهذا هو الذي فهمه أعلم الأمة وأفقههم من الإجابة، وهم الصحابة رضي الله عنهم، فقال ابن المنذر في كتابه «الأوسط»: روي

(١) أخرجه أبو داود (١/١٥١)، والنسائي (٢/١٠٩)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب». بسند حسن (٤٢٩).

(٢) «كتاب الصلاة» لابن القيم (٤٦١).

(٣) «معالم السنن» (١/١٦٠، ١٦١).

عن ابن مسعود وأبي موسى أنها قالوا: من سمع النداء، ثم لم يجب، فإنه لا تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر^(١).

قال: وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «من سمع النداء، فلم يجب، لم يرد خيرا، ولم يرد به»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لأن تمتلئ أذنا ابن آدم رصاص مذابا خيرا له من أن يسمع النداء، ثم لا يجيبه».

فهذا وغيره يدل أن الإجابة عند الصحابة هي حضور الجماعة، وأن المتخلف عنها غير مجيب، فيكون عاصيا^(٣).

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»، و«صحيح سنن أبي داود»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سمع النداء، فلم يجب، فلا صلاة له إلا من عذر».

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٥) من حديث معدان بن أبي طلحة اليعمری قال: قال لي أبو الدرداء: أين مسكنك؟ فقلت: في قرية دون حمص. فقال أبو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما

(١) «مجمع الزوائد» (٢/٤٢).

(٢) «سنن البيهقي» (٣٦/٥٧).

(٣) «كتاب الصلاة» (ص ٨٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٥١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥١٥)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

(٥) «المستدرک» (٢/٤٧٢)، وحسن الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٠١).

من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان؛ فعليك بالجماعة، فإنما يأك الذئب القاصية».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فوجه الاستدلال: أنه أخذ باستحواذ الشيطان عليهم بترك الجماعة، التي شعارها الأذان وإقامة الصلاة، ولو كانت الجماعة ندبا يخير الرجل بين فعلها وتركها لما استحوذ الشيطان على تاركها، وتارك شعارها»^(١)

فدلت هذه النصوص السلافة الذكر من القرآن الكريم والسنة النبوية على وجب صلاة الجماعة، وأنه لا يجوز التخلف عنها إلا لعذر: كالمرض، أو الخوف، وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد، وبه قال الشافعي، وقد أثر عنه أنه قال: «وأما الجماعة فلا أرخص في تركها إلا من عذر» نقل ذلك عنه المزني رحمته الله، ويتبين مما تقدم أن الأئمة الأربعة رحمهم الله اتفقوا على وجب صلاة الجماعة، وأن تاركها بدون عذر آثم، وإن اختلفت عباراتهم، ويشهد لذلك كلام الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كلام لأحد مع كلام الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة عنه.

واستغفر الله.

الخطبة الثانية: فضل صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «كتاب الصلاة» لابن القيم (ص ٤٦١).

أما بعد، - أيها الناس - سبق الحديث معكم في وجوب صلاة الجماعة،

وفيما يأتي بيان فضلها:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح».

والنزل: هو ما يهياً للضيف من كرامة عند قدومه.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحادها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رجل من الأنصار، لا أعلم أحدا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة (أي: لافوته). فقيل له: لو اشترت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء. قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد؛ إي أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث جابر بن عبد الله (خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنقلوا قرب المسجد؟! قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال: «يا

(١) رواه البخاري (١٢٤/٢)، ومسلم (٦٦٩).

(٢) رواه مسلم (٦٦٦).

(٣) رواه مسلم (٦٦٣).

(٤) رواه مسلم (٦٦٥).

بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا.

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أعظم الناس أدرا في الصلاة بعدهم إليها ممشي، فأبعدهم».

وأخرج أبو داود، والترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بشر الشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟». قالوا: بلى يا رسول الله . قال: «إسباغ الوضوء على المكار، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث بان عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ (أي: الواحد) بسبع وعشرين درجة».

وفي «الصحيحين» أيضا^(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفا؛

(١) رواه البخاري (١١٦/٢)، ومسلم (٦٦٢).

(٢) رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣).

(٣) رواه مسلم (٢٥١).

(٤) رواه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦).

وذلك أنه إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يخرج إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى، لم تنزل الملائكة تصلي عليه، ما دام في مصلاه، ما لم يحدث، تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا ينزال في صلاة، ما انتظر الصلاة).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما قام الليل كله».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ولو يعلمون ما في العتمة (أي: العشاء) والصبح لأتوهما، ولو حبوا».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» بإسناد حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من توضأ فأصبح الوضوء، ثم مشى إلا صلاة مكتوبة، فصلها مع الإمام غفر له ذنبه».

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى لله

(١) رواه البخاري (١١٢/٢)، ومسلم (٦٤٩).

(٢) رواه مسلم (٦٥٦).

(٣) رواه البخاري (١١٦/٢)، ومسلم (٤٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» ()، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٦).

(٥) الترمذي (٢٤١)، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٩).

أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

وأخرج الإمام الترمذي في «سننه» بسن حسن،؛ سنه الألباني في «صحي الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أتاني الليلة ربي (أي: في المنام) (وفي رواية: رأيت ربي في أحسن صورة) فقال لي: يا محمد. قلت: لبيك رب وسعديك. قال: هل تدري فيما يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: لا أعلم. فوضع يده بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال: في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض أو قال: ما بين المشرق والمغرب قال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: نعم، في الدرجات، والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات (أي: الغدوات الباردات)، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه. قال: يا محمد قلت: لبيك وسعديك. فقال: إذا صليت قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون. قال: والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام».

وأخيراً أسأل الله سُبْحَانَ اللَّهِ أن يفقهنا في الدين، ويستعملنا في طاعته.

(١) رواه الترمذي ()، وهو في «صحيح الترغيب» (٤٠٨).

الخطبة الأولى: من أخطاء الناس في الصلاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن بعض أخطاء الناس في الصلاة.

-أيها الناس-، الصلاة أمرها عظيم، فهي عمود الدين، وأهم الواجبات بعد التوحيد، بصلاحتها يصلح عمل المسلم كله، ومتى فسدت فسد العمل كله.

فعلينا الانتباه لبعض الأخطاء، وذلك بعرض صلاتنا كلها على الكتاب والسنة الصحيحة، فمن الأخطاء ما تكون سبباً لنقص أجرها، ومن الأخطاء ما تكون سبباً لعدم قبولها، ومن الأخطاء ما تكون سبباً للوزر والإثم.

فمن الأخطاء -أيها الناس- أن يصبى الرجل مسبل الإزار:

وهذا خطأ، قد ورد النهي الشديد عن ذلك.

ففي «مسند أحمد»، وسنن النسائي، وسنن أبي داود بسند صحيح^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أذهب فتوضأ» فذهب فتوضأ، ثم جاء، فقال: «أذهب فتوضأ».

فقال له رجل: يا رسول الله، مالك أمرته أن يتوضأ؟ ثم سكت عنه، قال: «إنه كان يصلي، وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «ووجه هذا الحديث والله أعلم أن إسبال الإزار معصية، وكل من وقع في معصية فإنه يؤمر بالوضوء؛ فإن الوضوء يطفئ حريق المعصية»^(٢).

وأخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاً، فليس من الله في حل ولا حرام».

أي: لا ينفع للحلال، ولا للحرام، فهو ساق من الأعين، ولا يلتفت إليه، ولا عبرة به، ولا بأفعاله^(٤).

وقد سبق إلى الذهن أيها الناس أن الإسبال يكون في الإزار فقط، وهذا غلط؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الإسبال يكون في السراويل [أي: البنطلون]، والإزار، والقميص»^(٥).

(١) «المسند» (٤/٦٧)، والنسائي «كتاب الزينة» كما في «تحفة الأشراف» (١١/١٨٨).

(٢) «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيم (٦/٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢/٦٠).

(٤) «انظر فيض القدير» للمناوي (٦/٥٢).

(٥) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٢/١٤٤).

وقال ابن باز رحمته الله في الإسبال بالبنطلون: «الأحاديث الصحيحة المناعة من الإسبال تعمه بمنطوقها، وبمعناها، وبمقاصدها»^(١).

ومن أخطاء الناس في الصلاة تخصيص مكان للصلاة في المسجد:

وهذا العمل منهي عنه، فقد أخرج أحمد في «مسنده»، والدارمي في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه»^(٢) بسند صحيح من حديث عبد الرحمن بن شب قالك «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نقرة الغراب، وافتراش السبع، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد، كما يوطن البعير».

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «لا ينبغي للرجل أن يتخذ لنفسه مكانا خاصا في المسجد، لا يصلي غلا فيه، كالبعير لا يبرك إلا في مبرك اعتاده»^(٣).

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدم الصلاة إلى السترة:

والسترة واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها: ما رواه مسلم^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تصل إلا إلى سترة، ولا تدع أحدا يمر بين يديك، فإن أبي فلتقاتله؛ فإن معه القرين». وفي «صحيح البخاري»^(١) عن قرة بن إياس قال: «رأني عمر، وأنا أصلي بين أستطواتين، فأخذ بقفائي، فأدناني إلى سترة، فقال: صل إليها».

(١) «فتاوى ابن باز» (ص ٢١٩).

(٢) «المسند» (٣/٢٤٨، ٤٤٤)، و«سنن الدارمي» (١/٣٠٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٧٦).

(٣) انظر «تهذيب سنن أبي دواد» (١/٤٠٨) لابن القيم.

(٤) أخرجه مسلم (٥٠٦).

قال الحافظ ابن حجر: «أراد عمر بذلك أن تكون صلاته إلى ستره»^(٢).

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «لقد رأيت كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتدرون السواري عند المغرب، حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم».

وفي رواية عند البخاري^(٤) أيضا: «وهم كذلك يصلون الركعتين قبل المغرب».

وطول السترة المجزئة - أيها الناس - طول مخرة الرحل: أي شبران على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها:

أخرج الإمام مسلم^(٥) في «صحيحه» من حديث طلحة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصل، ولا يبال من مر وراء ذلك».

وأخرج الإمام مسلم^(٦) في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك عن ستره المصلي، فقال: «كمؤخرة الرحل».

وهنا تنبيه مهم: وهو أن حديث اتخاذ الخط ستره ضيفة، وعليه فلا يجزئ الخط عن السترة.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧/١) مع الفتح).

(٢) «الفتح» (٥٧٧/١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٥).

(٥) أخرجه مسلم (٤٩٩).

(٦) أخرجه مسلم (٥٠٠).

وهنا تنبيه آخر: وهو أن المأموم لا تجب عليه السترة، والسترة في صلاة الجماعة من مسئولية الإمام.

ومن أخطاء الناس في الصلاة كثرة الحركة والعبث في الصلاة:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى أقواما يعبثون بأيديهم في الصلاة، ويحركونها من غير حاجة، فقال لهم: «مالي أراكم رافعي أيديكم، كأنها أذنان خيل شمس؟! اسكنوا في الصلاة».

ومعنى شمس: هي التي لا تستقر، بل تضطرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها، ففي هذا الحديث الأمر بالسكون في الصلاة، والخشوع فيها، والإقبال عليها.

ومن أخطاء الناس في الصلاة أكل الثوم والبصل، وكل ما يذوي المصلين قبل الحضور للجماعة، وقد ورد النهي الشديد عن ذلك:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في غزوة خيبر: «من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يقربن مسجدنا».

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا -أو قال: فليعتزل مسجدنا-؛ وليقعد في بيته».

وفي رواية عند مسلم^(٤): «من أكل من هذه الشجرة المنتنة، فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنس».

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٣)، ومسلم (٥٦١).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٤).

(٤) أخرجه مسلم (٥٦٤).

ففي هذه الأحاديث وغيرها كراهية أكل الثوم والبصل، فيلحق بذلك كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

قال العلامة ابن باز رحمته الله: «هذا الحديث وما في معناه من الأحاديث الصحيحة يدل على أن كراهة حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحة توجد منه ظاهرة، تؤذي من حوله، سواء كان ذلك من أكل الثوم، أو البصل، أو الكراث، أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة: كالدخان، حتى تذهب الرائحة... مع العلم بأن الدخان مع قبح رائحته هو محرم لأضراره الكثيرة، وخبثه المعروف، وهو داخل في قوله سبحانه عن نبيه

صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ويدل على ذلك أيضا قوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ

لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٤]

ومعلوم أن الدخان ليس من الطيبات، فعلم بذلك أنه من المحرمات على الأمة^(١) قال الشيخ مشهور بن حسن حفظه الله: «والأقبح من جميع ما ذكر رائحة الجوارب، التي تنبعث من بعض المصلين، فهي أسوأ رائحة من رائحة الثوم والبصل. وإن من قلة الذوق، ومن مخالفة قوله صلى الله عليه وسلم: «فإن الله أحق أن يتزين له» أن يأتي المصلي، وثيابه متسخة، فلا ينظفها قبل أن يدخل المسجد، ثم يزاحم الآخرين بهذه الثياب القذرة، التي ربما تنبعث منها الرائحة الكريهة»^(٢).

ومن أخطاء الناس في الصلاة عدم إتمام الصفوف:

(١) «فتاوى ابن باز» (١/ ٨٢).

(٢) «القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص ٢٠٠).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أل تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول فالأول، ويتراصون في الصفوف».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث بشير بن يسار الأنصاري عن أنس أنه قدم المدينة، فقيل له: ما أنكرت منها منذ يوم عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف».

وأخرج أبو داود في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه» بسند صحيح^(٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس بوجهه فقال: «أقيموا الصفوف - ثلاثاً - والله، لتقيمن صفوفكم، أو ليخالفن الله بين قلوبكم».

قال النعمان: «فأريت الرجل ليصق منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركة صحابه، وكعبه بكعبه».

قال الألباني رحمته الله: «وفي هذين الحديثين فوائد هامة:

الأولى: وجوب إقامة الصفوف وتسويتها والتراص فيها للأمر بذلك، والأصل فيه الوجوب»^(٤).

وقد جاء الترهيب من قطع الصف،

(١) أخرجه مسلم (٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٦٢)، وابن حبان (٣٩٦).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١/٤٠، ٤١).

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولا تذروا فرجات للشيطان، من وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله».

الفرجات: هي المكان الخالي بين الاثنين. والخلل: هو ما يكون بين الاثنين من اتساع عند عدم التراص.

ومن أخطاء الناس في الصلاة القنوت الراتب في صلاة الفجر، وتركه عند النوازل:

وقد اعتمد القائلون بمشروعية القنوت في صلاة الفجر على حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقنت في الصبح، حتى فارق الدنيا».

وهذا الحديث -أيها الناس- لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن مداره علي أبي جعفر الرازي، وأبو جعفر الرازي ضعيف الحديث عند أهل العلم، قال عنه المحدث ابن المديني: «كان يخطئ». وقال أبو زرعة: «كان يهمل كثيرا». وقال ابن حبان: «كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير»^(٢).

أيها النس، هذا الحديث يناقض ما جاء في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس بن مالك أيضا قال كان يدعو على أحياء من أحياء العرب، ثم رتكه».

(١) أخرجه أبو داود (٦٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٥).

(٢) انظر «میزان الاعتدال» (٣/٣٢٠)، و«الضعيفة» (١٢٣٨)؟

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٤).

فانظر يا عبد الله إلى قوله في الحديث الصحيح: «ثم تركه»، فعلام نترك الحديث الصحيح، ونعمل بالحديث الذي لم يصح عن رسول الله ﷺ ألبتة؟!
ألا يسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه؟!

ومن أخطاء المهملين -أيها الناس- أن يكبر تكبيرة الإحرام وهو راكع:

وهذا خطأ، فالأصل أن تكبيرة الإحرام تفصل من قيام، ثم يركع بعدها، وإذا جاء المصلي، ووجد الإمام راكعا فإنه يكبر تكبيرة الإحرام قائما، ثم يركع معه بتكبيرة ثانية، وإن اقتصر على تكبيرة الإحرام، أجزأته صلاته.

ومن أخطاء الناس في الصلاة إذا جاء المأموم والإمام ساجدا، فإنه ينتظره حتى يوقم، أو يجلس:

وهذا خطأ، والأصل إذا وجد المسبوق الإمام على أي حال من الصلاة دخل معه؛ لما في «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جئتم إلى الصلاة ونحن ساجدون فاسجدوا، ولا تعدوها شيئا».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: من أخطاء الناس في صلاة الجمعة

(١) رواه أبو داود (٨٩٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٤٩٦).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن بعض أخطاء الناس في الصلاة، وفيما يأتي ذكر بعض أخطاء الناس في صلاة الجمعة.

فمن أخطاء الناس في صلاة الجمعة التهاون عن الحضور للجمعة:

وهذا أمر خطير، ألا يخشى هذا المتخلف من أن يطبع الله على قلبه.

فقد أخرج أبو يعلى في «التلخيص الحبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث محمد بن عبد الرحمن بن زرارة قال: سمعت عمي يقول: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء يوم الجمعة، فلم يأتها، ثم سمعه، فلم يأتها، ثم سمعه، فلم يأتها -طبع الله على قلبه، وجعل قلبه قلب منافق».

أخرج الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه بسند صحيح^(٢) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها، طبع الله على قلبه».

ومن أخطاء الناس في صلاة الجمعة ترك التكبير لصلاة الجمعة:

ففي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود» بسند صحيح^(٣) من حديث أوس بن أوس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر،

(١) رواه أبو يعلى في «التلخيص الحبير» (٥٣/٢)، وحسن الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٠)، وأبو داود (١٠٥٢)، وابن ماجه (١١٢٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٠٤/٤)، وأبو داود في «سننه» (٣٤٥).

ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، واستمع ولم يلغ - كان له بكل خطوة أجر سنة: صيامها وقيامها».

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم الكذي يهدي بقرة، ثم كبشا، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طوا صحفهم، ويستمعون الذكر».

ومن أخطاء المهلين في صلاة الجمعة ترك الاغتسال، والتزين والتطيب، والتسوك لصلاة الجمعة، وهذا مخالف لهدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه».

وغسل يوم الجمعة -أيها الناس- واجب على الصحيح من أقوال أهل العلم.

قال شيخ الغسلام ابن تيمية رحمته الله: «ويستحب الغسل في ذلك اليوم -أي: الجمعة- وعند جماعة يجب، ودليل وجه أقوى من دليل وجب الوتر»^(٣)

ومن أخطاء الناس في صلاة الجمعة ترك التزين بأحسن ما يجد من الثياب:

(١) البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠).

(٢) رواه مسلم (٨٤٦).

(٣) «زاد المعاد» (١/٣٧٦).

فقد أخرج أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر يوم الجمعة: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته؟».

أيها الناس، علينا أن نحذر من اللباس الذي هو من خصائص الكفار:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حينما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ثوبين معصفرين (أي: مصبوغين بالعصفر) قال: «إن هذه من ثياب الكفار؛ فلا تلبسها».

ومن اللباس الذي هو من خصائص الكفار اليوم وشعارهم البنطلون:

قال الإمام الألباني رحمته الله: «والبنطلون فيه مصيبتان:

المصيبة الأولى: هي أن لابسها يتشبه بالكفار؛ فما عرف المسلمون «البنطلون» إلا حينما استعمروا، ثم لما انسحب المستعمرون، تركوا آثارهم السيئة، وتبناها المسلمون بغباوتهم وجهالتهم.

والمصيبة الثانية: هي أن «البنطلون» يحجم العورة، وعورة الرجل من الركبة إلى السرة، والمصلي يفترض عليه أن يكون أبعد ما يكون عن أن يصي الله، وهو له ساجد، فترى إلتيته مجسمتين، بل وترى ما بينها مجسما، فكيف يصلي هذا الإنسان ويقف بين يدي ب العالمين؟!»^(٣).

(١) رواه أبو داود (١٠٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٨٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٣٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠٧٧).

(٣) القول المبين في أخطاء المصلين» لمشهور بن حسن (ص ٢٠، ٢١).

ومن التشبه ما يفعله بعض الناس من التزين بطق اللحية، فهو معصية، ومخالفة للأدلة التي أمرت بإطلاقها، كما أن التزين بحلق اللحية من خصائص الكفار الذي أمرنا نبينا ﷺ بمخالفتهم:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جزوا الشوارب، وأرخوا اللحي؛ خالفوا المجوس».

ومن أخطاء الناس في صلاة الجمعة تخطي الرقاب:

ففي «سنن النسائي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث عبد الله بن بسر: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال: «اجلس؛ فقد آذيت وآنيت»، ومعنى آنيت: أي تأخرت. فهذا الحديث دليل على حرمة تخطي الرقاب يوم الجمعة، وظاهر التقييد بيوم الجمعة أن الحرمة مختصة به^(٣).

ومن أخطاء الناس في الجمعة ترك السنة القبلية:

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح^(٤) من حديث أبي هريرة وجابر قالوا: جاء سليك الغطفاني، ورسول الله ﷺ يخطب، فقال له النبي ﷺ: «أصليت ركعتين قبل أن تجيء؟». قال: لا. قال: «فصل ركعتين، وتجاوز فيهما».

(١) رواه مسلم (٢٦٠).

(٢) النسائي (٢٠٧١)، و«صحيح الجامع» (١٥٥).

(٣) «القول المبين» (ص ٣٥٠).

(٤) «سنن ابن ماجه» (١١١٤).

قال أبو شامة: «قال بعض من صنف في عصرنا: قوله: «قبل أن تحيء» يدل على أن هاتين الركعتين سنة للجمعة قبلها، وليستا تحية للمسجد»^(١).

ومن أخطاء الناس في سنة الجمعة البعدية ترك السنة البعدية:

ولعل الأفضل والأكمل صلاتها في البيت، كما كان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يفعل، لما في «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في وصف تطوع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «فكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف، فيصلي ركعتين في بيته».

اللهم إنا نسألك فعل الخير، وترك المنكرات، وحب المساكين.

(١) «زاد المعاد» (١/٤٣٤).

(٢) البخاري (٩٣٧)، ومسلم (٨٨٢).

الخطبة الأولى: ٣. الزكاة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠]

﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن فرضية الزكاة، إحدى فرائض الإسلام، وقواعده العظام.

وهي الكرن الثالث من أركان الإسلام وقد قرنت بالصلاة في اثنين وثانين آية من كتاب الله، وفرضيتها ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

ففي الكتاب العزيز: قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

[التوبة: ١٠٣]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ نَاتٍ﴾ [البقرة: ١١٠]

وأما الأدلة من السنة فأكثر من أن تحصر، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بين الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر ما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا لآزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث جرير بن عبد الله بالبجلي رضي الله عنه قال: «بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني أبو سفيان رضي الله عنه وذكر حديثه مع هرقل عظيم الروم، فقال له: «بم يأمركم؟» فقال أبو سفيان: «يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة (أي: صلة الرحم)، والعفاف».

وفي «الصحيحين»^(٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، واللفظ له.

(٢) تقديم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٤٠١)، ومسلم (٥٦).

(٤) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، واللفظ له.

(٥) رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم».

أيها الناس، تلك منزلة الزكاة في الإسلام، ومن منها إنكارا وجحودا فهو كافر، خارج عن الإسلام، وقتل كفرا، ومن منها بخلا - مع إقراره بوجوبها - فهو فاسق بامتناعه، ولا يخرج ذلك عن الإسلام، وتؤخذ منه قهرا مع التعزير، ومتى أخذت قهرا فهي مقبولة، وإن قاتل دونها قوتل حتى يخضع لأمر الله، ويؤدي الزكاة، ودليل ذلك قول الله ﷻ:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف نقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله».

فقال أبو بكر: والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله، لو منعوني عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم على منعه.

فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله صلى الله عليه وآله وسلم قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

(١) رواه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

ومن مقامد الزكاة -أيها الناس- أنها تطهير للمال، وتنميته، ووقايته من الآفات ببركة طاعة الله وتعظيم أمره أنها تطهير للنفس البشرية من رذية البخل والشح والشره والطمع مواساة للفقراء، وسد حاجة المعوزين والبؤساء والمحرومين.

أنها سبب لجمع القلوب المشتتة على الإيمان والإسلام، والانتقال بها من الشكوك وضمف الإيمان إلى الإيمان الراسخ واليقين التام.

أنها سبب لإقامة المصالح العامة، التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها^(١).

وتجب الزكاة -أيها الناس- على من توافرت فيه الشروط الآتية:

الأول: الإسلام.

الثاني: الحرية.

الثالث: من ملك الناصب، وأن يكون هذا النصاب فاضلا عن الحاجات الضرورية؛ لأنه لا غنى للمرء عنها: كالمطعم، والملبس، والمسكن، والمركب، وآلات الحرفة.

الرابع: مرور حول كامل على المال، أي أنواع المال الذي بلغ النصاب إلا في المزروع والشمار، فإنه لا يشترط فيها مرور الحول لقول الله ﷻ: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾

[الأنعام: ١٤١]

الخامس: فراغ مال الزكاة من دين يحيط به كله أو معظمه، ولم يكن وراءه من يطالبه

به من الناس^(٢).

(١) «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العمل (ص ٩٨، ٩٩).

(٢) المرجع السابق (١٠٢).

والأجناس التي تجب فيها الزكاة -أيها الناس- الذهب والفضة:

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ [التوبة: ٣٤]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من صحاب ذهب، ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره، كلما بردت أيدت له، في ويوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد».

ونصاب الذهب -أيها الناس- عشرو ديناراً، فإذا بلغ الذهب هذا المقدار، وحال عليه الحول، ففيه ربع العشر يعني نصف دينار، وما زاد على ذلك فبحسابه، بأن يأخذ من هذه الزيادة أيضاً ربع العشر.

وتقدر العشرون مثقالاً من الذهب بخمسة وثمانين جراماً.

وأما نصاب الفضة -أيها الناس- فهو مائتا درهم، وقيمة الزكاة فيها ربع العشر، والزيادة بحسابها.

وتقدر المائتا درهم من الفضة بخمسمائة وخمسة وتسعين جراماً والأفضل -أيها الناس- أن تقدر الأوراق النقدية بنصاب الفضة، وكل ذلك جاز إن شاء الله.

-أيها الناس-، لقد اختلف أهل العلم في حلي المرأة من الذهب أو الفضة، إذا كانت تلبسه أو تعيره، هل تجب فيه الزكاة أو لا؟

(١) رواه مسلم (٩٨٧).

والصواب مع العلماء الذين قالوا بوجوب الزكاة فيها لأدلة، منها:

ما جاء في «سنن أبي داود» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان (أي سواران) غليظتان من ذهب، فقال: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا. قال: «أيسرك أن يسور الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟». قال: فخلعتها، وفألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: هما لله سبحان الله ولرسوله.

وأخرج أبو داود في «سننه» بسند حسن، حسن الألباني في «سنن أبي داود»^(٢) من حديث أم سملة رضي الله عنها قالت: كنت ألبس أوضاحا من ذهب (أي خلخال)، فقلت: يا رسول الله، أكنز هو؟. فقال: «ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكي، فليس بكنز».

وأخرج أبو داود أيضا في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى في يدي فتحات من ورق، فقال: «ما هذا يا عائشة؟»

فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله. قال: «أتؤدين زكاتهن؟» قالت: لا أو ما ساء الله قال: «هو حسبك من النار».

أيها المسلمون، هذه الأحاديث تدل على أن هذا الحلي كان للزينة، ومع هذا فقد أمرهن النبي صلى الله عليه وسلم بإخراج الزكاة، وليس مع المخالفين دليل صحيح يعتمد عليه. وهناك

(١) رواه أبو داود (١٥٦٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٢).

(٢) رواه أبو داود (١٥٦٤)، وحسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٣).

(٣) رواه أبو داود (١٥٦٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٨٤).

-أيها الناس - أدلة عامة في وجوب زكاة الذهب والفضة، ولم يفرق بين كونه نقوداً، أو سبائك، أو حلياً، أو أعد للزينة، أو للادخار، أو غير ذلك.

ومتى حال الحول، ولم تجد المرأة مالا تؤدي به زكاتها، وجب عليها أن تبيع من حليها بقدر زكاتها؛ لتؤدي ما عليها، إلا أن يعينها أحد في أداء الزكاة: كزوج أو قريب^(١)

أيها الناس، - لقد ذكر العلامة ابن عثيمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خلاصة الزكاة، فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن مما تجب به الزكاة عروض التجار، وهو: ما أعده الإنسان للبيع والاتجار به: من حيوا، وعقار، وأثاث، ومتاع، وأوان، وغير ذلك، كل شيء عندك للتجارة، فهو عروض تجارة، إذا حال عليه الحول، فقومه كم يساوي؟ ثم أخرج ربع العشر قيمته، ومن عروض التجارة أيضاً عند الفلاحين: من الإبل، والبقر، والغنم التي يرونها للبيع، فأما العقارات التي أعدها الإنسان له، ولا يريد بيعها، وإنما يريد أن يسكنها أو يؤجرها، فهذه ليس فيها زكاة، ولا زكاة فيما أعده الإنسان لبيته من الأواني، والفرش، ونحوها، ولا فيما أعده الفلاح لحاجة الفلاحة من المكائن، وآلات الحرث، ونحوها.

وخلاصة ذلك:

أن كل شيء تعده لحاجتك، أو للاستغلال سوى الذهب والفضة فلا زكاة فيه، وما أعدته للتجار والتكسب ففيه الزكاة، وأما الديون التي عند الناس، فلا يجب عليك إخراج زكاتها حتى تقبضها، فإذا قبضتها: فإن كان على ملىء، وجب أن تخرج عنه زكاة

(١) انظر «كتاب الزكاة» لعادل يوسف العزازي (ص ٢٤).

كل السنوات الماضية، وإن كان على فقير، لم يجب أن تخرج إلا عن سنة واحدة فقط، وإن أخرجت زكاة الدين قبل قبضه فلا بأس^(١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: زكاة الفطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث حول الزكاة، والآن حديثي معكم حول زكاة الفطر.

وزكاة الفطر -أيها الناس- واجبة على كافر فرد من المسلمين، صغير كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى، حراً كان أو عبداً.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عمر ما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين».

وشرعت زكاة الفطر -أيها الناس- طهارة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، ومواساة لهم.

(١) انظر «المجموع الثمين في خطب ابن عثيمين» (ص ١٤٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).

ففي «سنن أبي داود» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، في صدقة من الصدقات».

وزكاة الفطر أيها النسء لا يشترط لها نصاب:

وإنما اشترط لوجوبها جمهور أهل العلم الإسلام أولاً، وثانياً أن يكون مقدار هذه الزكاة الواجبة فاضلاً عن قوته، وقوت من تلزمه نفقته يوم العيد وليلته، وحاجته الأصلية.

والواجب فيه زكاة الفطر صاع من أقوات البلد:

لما في «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي سعيد الخدري قال: «كنا نتخرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعاً من طعام». وقال أبو سعيد: «وكان طعامنا الشعير، والزبيب، والأقط، والتمر».

فدل هذا الحديث على أن المعتبر طعام أهل البلد المقتات عندهم: كالأرز والذرة، والقمح، وغير ذلك، وإن لم ينص عليها الحديث.

ومقدار الصاع -أيها الناس- أربعة أمداد بكف الرجل المعتدل:

ويقدر بالوزن كيلوان وأربعون جراماً.

وخراج القيمة لم يجزه الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد.

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وحسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٢٠).

(٢) رواه البخاري (١٥١٠).

وذهب أبو حنيفة إلى جواز إخراج القيمة، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأن النصوص الواردة بأنها من طعام، والزكاة عبادة لا تبرأ الذمة إلا بأدائها على الوجه المأمور به^(١).

وتجب زكاة الفطر بغروب شمس آخر يوم من رمضان:

وآخر وقت الوجوب هو حلول وقت صلاة العيد لحديث ابن عباس السابق: «فمن أداه قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقة من الصدقات»^(٢).

ويجوز تقديمها بيوم أو يومين.

لما في «صحيح البخاري»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كانوا يعطونها قبل الفطر بيوم أو يومين».

ومصارف الزكاة -أيها الناس- سواء كانت الزكاة الواجبة أم زكاة الفطر شي ثمانية أصناف:

حصرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]

وإيفاح ذلك:

أولاً: الفقير: وهو من لم يكن لديه من المال ما يسد حاجته، وحاجة من يعول.

(١) انظر «كتاب الزكاة» للعزازي (ص ٩٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٥١١).

- ثانيا: المسكين: وهو الذي لا يوجد عنده ما يكفيه للأكل، والشرب، والسكن.
- ثالثا: العاملون عليها: هم الذين يوليهم الإمام أو نائبه عملا من أعمال الزكاة: من جمع، أو حفظ، أو تفريق.
- رابعا: المؤلفة قلوبهم: المؤلفة هو الرجل المسلم يكون ضعيف الإيمان، وتكون له الكلمة النافذة في قومه، فيعطى من الزكاة تأليفا لقلبه.
- خامسا: الرقاب: والمراد من هذا المصرف هو أن يكون المسلم رقيقا، فيشترى من الزكاة ويعتق.
- سادسا: الغارمون: والغارم: هو المدين الذي تحمل دينا في غير معصية الله.
- سابعا: في سبيل الله: والمراد هنا الغزو، فيعطى المتطوعون من الغزاة الذين ليس لهم راتب من الدولة، سواء كانوا أغنياء أم فقراء.
- ثامنا: ابن السبيل: هو المسافر المنقطع عن بلده، وعرض له عارض فقر حال سفره وانقطاعه، فيعطى من الزكاة ما يسد حاجته في غربته، ويوصله إلى بلده، وإن كان غنيا في بلده، وهذا إذا لم يجد من يقرضه في حالته هذه، فإذا وجد من يقرضه، وجب عليه أن يقرض^(١).
- اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

(١) انظر «مختصر شرح أركان الإسلام» لبعض طلبة العلم (ص ١١٣، ١١٤).

الخطبة الأولى: ٤- صيام رمضان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، تحديتي معكم اليوم عن صوم رمضان.

وصوم رمضان -أيها الناس- هو الركن الرابع من أركان الإسلام، وأحد مبانيه العظام، لا يتم إسلام المرء إلا به.

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٨٣] أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [١٨٤] شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ

أَتِيَامٍ أُخْرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكْرَبُوا اللَّهَ
عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٣]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

-أيها الناس-، لقد أجمع المسلمون كافة على وجوب صيام شهر رمضان، كما قال صاحب «المغني»^(٢)

ومن أنكره جاحدا لوجوبه فهو كافر مرتد، إلا أن يكون جاهلا، أو حديث عهد بالإسلام، فحيثئذ ي علم ويبين له الحق، فإن اصر وكابر فهو كافر، يقتل ردة وكفرا والعياذ بالله! لأنه مكذب للقرآن والأحاديث الصحيحة.

وفضائل صوم شهر رمضان لا تكاد تحصر، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام (أي: له أجر محدود إلا الصوم، فأجره بغير حساب)؛ فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة (أي: يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات)، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «المغني» لابن قدامة (٤/٣٢٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وغدا لقي ربه فرح بصومه».

وفي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الصيام جنة، وحصن حصين من النار».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه».

ولشهر رمضان من الفضائل ما ليست لغيره من الشهور.

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصدفت الشياطين».

وفي هذا الشهر المبارك -أيها الناس- ليلة واحدة خير من ألف شهر، وألف شهر إذا حسبت بالسنين تزيد على ثمانين عاماً، فهذه الليلة تعادل ثمانين عاماً وزيادة أشهر، كلها في طاعة الله، وهذا فضل عظيم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ [الفجر: ١، ٥]

(١) رواه الإمام أحمد (٤٠٢/٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٩٨٠).

(٢) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩).

وقال الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ومعنى: (أنزل فيه القرآن) يعني: ابتداء نزوله، ثم تتابع بعد ذلك، ينزل على رسول الله ﷺ إلى آخر حياته عليه الصلاة والسلام^(١).

-أيها الناس- له شروط:

فيشترط في وجوب الصوم على المسلم أن يكون عاقلاً بالغاً.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل».

وأن يكون المسلم صحيحاً غير مريض، مقيماً غير مسافر، قادراً عليه من غير مشقة بالغة، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس.

ففي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ فذلك نقصان دينها».

وللصيام -أيها الناس- ثلاثة أركان:

الركن الأول الإمساك: وهو الكف عن المفطرات: من أكل، وشرب، وجماع، وغيرها.

(١) «مجالس شهر رمضان» للفوزان (ص ١٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٧٠٣).

(٣) رواه البخاري (١٩٥١).

الصحيح من الأثر في فطرب المنبر

الركن الثاني النية: وهي عزم القلب على الصوم امتثالاً لأمر الله ﷺ القائل:

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى».

فإن كان الصوم فرضاً، فالنية تجب بليل قبل الفجر.

لما في «سنن أبي داود» بسند صحيح، صحه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث حفصة بنت عمر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له».

وإن كان الصوم نفلاً، صحت النية ولو بعد طلوع الفجر وارتفاع النهار، بشرط ألا يكون قد طعم شيئاً.

لما في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «هل عندكم من شيء؟». قلنا: لا. قال: «فإني صائم».

الركن الثالث الزمان: والزمان -أيها الناس- هو الركن الثالث من أركان الصيام، والمقصود بالزمان هو نهار رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقول الله ﷺ:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]

(١) رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٥٤)، وصحه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٤٣).

(٣) رواه مسلم (١١٥٤).

ويرخص الفطر للمريض والمسافر مع وجوب القضاء، وخاصة المريض الذي يرجى برؤه، فإنه يباح له الفطر، ثم يقضي بعد ذلك ما أفطر من أيام، وغذا استطاع المريض الصيام بلا مشقة صام.

قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]

وأما المسافر إذا سافر المسلم ماسفة تقصر فيها الصلاة فيباح له الفطر، ويقضي ما أفطره من أيام عند حضوره، فإذا كان الصوم في السفر لا يشق عليه فصام، كان ذلك حسنا، وإن كان يشق عليه فأفطر، كان ذلك حسنا.

لما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمننا الصائم، ومننا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر (أي: لا يعيب عليه)، ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام، فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر، فإن ذلك حسن».

-أيها الناس-، اعلّموا علمني الله وإياكم أنه يباح الفطر للمرأة المسلمة إذا كانت حاملا أو مرضعا، إذا خافت كل منهما على نفسها، أو على ولدها فقط، أو على نفسها وولدها.

لما في «سنن أبي داود» بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢) من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع شطر الصلاة والصوم عن المسافر، وعن المرضع -أو الحبل- الصوم».

(١) رواه مسلم (١١١٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٠٨)، وحسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٠٧).

وإذا كان خوف المرأة على الولد فقط، فإنها تزيد -على القضاء- الفدية، والفدية: أن تتصدق عن كل يوم تصومه بمد من طعام.

وهناك -أيها الناس- من يرخص لهم في الفطر، ولا يجب عليهم القضاء، وإنما تجب عليه الفدية فقط، وهم:

الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، والمريض الذي لا يرجى بؤه، ومن في حكم هؤلاء ممن يجهد الصوم، ويشق عليه مشقة شديدة، فهؤلاء جميعا يرخص لهم في الفطر، وأن يطعموا عن كل يوم مسكينا مدا من طعام، ولا قضاء عليهم لقول ابن عباس كما في «صحيح البخاري»^(١) «الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكينا».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية : مبطلات الصيام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث عن الصيام، والآن حديثي معكم عن امبطلات الصيام.

-أيها الناس- هناك ما يبطل الصوم، ويجوب القضاء فقط، وهناك ما يبطله، ويوجب القضاء والكفارة.

فأما ما يبطل الصوم، ويوجب القضاء فقط، فهو ما يأتي:

(١) رواه البخاري (٤٥٠٥).

أولاً: الأكل والشرب عمداً، أما إذا كان ناسياً أو مكرهاً، فلا قضاء عليه.

لما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه؛ فإن، ما أطعمه الله وسقاه».

وهذا من لطف الله وتيسيره على عباده، فقولته: «فليتم صومه» دليل على أن صيامه صحيح.

ثانياً: من أكل، أو شرب، أو جامع ظاناً غروب الشمس، ثم تبين له خلاف ذلك، أي: بقاء النهار.

ثالثاً: ما وصل إلى الجوف بالمبالغة في المضمضة والاستنشاق، إذا بالغ في ذلكذاكر لصومه، وأيضاً إيصال الأغذية إلى الجوف، ومن ذلك الإبر المغذية، التي يحصل بها إنعاش للبدن وتغذيته.

أما إذا طار إلى حلقه غبار أو ذباب، لم يؤثر على صيامه لعدم إمكان التحرز من ذلك.

رابعاً: إنزال المنى في اليقظة باستمنا، أو مباشرة، أو تقييل، أو إدامة نظر، ونحو ذلك باختياره، وأما الإنزال بالاحتلام فإنه لا يفطر؛ لأنه بغير اختيار الصائم.

خامساً: التقيؤ عمداً، والتقيؤ: هو استخراج ما في المعدة من طعام أو شراب عن طريق الفم متعمداً، أما من غلبه القيء، فقاء بدون اختياره، فلا يفسد صومه.

(١) رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

لما في «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذرعه قيء وهو صائم فليس عليه قضاء، وإن استقاء فليقض». ومعنى ذرعه القيء: أي غلبه.

سادسا: نقض ورفض نية الصوم، فمن نوى الفطر وهو صائم بطل صومه، وإن لم يتناول مفطرا، ولهذا قال أهل العلم: إذا غربت الشمس، وليس عند ما تفرط عليه، فتكفيك النية.

سابع: الردة عن الإسلام، إن رجع إليه لقول الله تعالى: ﴿لِيَنفِرَ فِرَقًا شَرِيفًا﴾ [الزمر: ٦٥]

الأمر الثاني - أيها الناس - ما يبطل الصوم، ويوجب القضاء والكفارة:

وهو الجماع العمد من غير إكراه.

لما في «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت، يا رسول الله. قال: «وما أهلكك؟». قال: وقعت على امرأتي في رمضان. فقال: «هل تجد ما تعتق رقبة؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا؟». قال: لا. ثم جلس، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر (والعرق: هو مكيال يسع خمسة عشر صاعا) فقال: «خذ تصدق بهذا» قال: فهل على أفقر منا؟. فوالله، ما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٠٨٤).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

(أي: ما بين أطراف المدينة أفقر منا) فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «أذهب فأطعمه أهلك».

-أيها الناس-، لا بد أن يأتي بالكفارة على الترتيب وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن عجز أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله، كما لا يصح الانتقال من حالة إلى حالة إلا إذا عجز منها.

والإطعام -أيها الناس- يكون لكل مسكين مد من بر، أو شعير، أو تمر بحب الاستطاعة.

وتتعدد الكفارة بتعدد المخالفة، فمن جامع متعمدا في يوم ولم يكفر، ثم جامع في يوم آخر من الشهر فقد ذهب بعض أهل العلم على أن عليه كفارتان، والصواب الاكتفاء بواحدة.

-أيها الناس- هنا تنبيه مهم: وهو هل على المرأة كفارة كالرجل تمام؟

ذهب أهل العلم إلى أنه متى كانت المرأة راضية، فعليها كفارة، وإن كانت مكرهة، فعليها القضاء ولا كفارة عليها^(١).

قال ابن عثيمين رحمته الله: «من جامع في نهار شهر الصوم، فإنه يلزمه القضاء والكفارة، وامرأته مثله إن كانت مطاوعة له، سواء حصل الإنزال أم لم يحصل»^(٢).

اللهم إنا نسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا.

(١) جمهور أهل العلم على أنه يلزمها الكفارة «نيل الأوطار» (ج ٣/ ١٨٩) ط. دار العربي وغير «نيل الأوطار».

(٢) «فقه العبادات» لابن عثيمين (١٩٤).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الخطبة الأولى: ٢- فضل تلاوة القرآن

إن الحمد لله ...

أما بعد:

-أيها الناس-: حديثي معكم اليوم عن فضل تلاوة القرآن العظيم.

أيها لناس: إن هذا القرآن الذي بين أيدينا نتلوه ونسمع ونحفظه هو كلا ربنا ﷺ، تكلم به حقيقة على الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته، ووصفه ﷺ بأوصاف عظيمة؛ لنعظمه في نفوسنا؛ وتحترمه قلوبنا:

فوصوف ﷺ بأنه موعظة، وشفاء، وهدى:

قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٥٧]

ووصفه بأنه روح تحيا به القلوب، وأنه هدى الله يهدي به من يشاء:

قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّن أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّن عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال الله

ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣]

ووصفه بأنه يهدي للطرق المستقيم فقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]

ووصفه أنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم فكل خير وعلم إنما يستفاد منه:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ

﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ [الواقعة: ٧٦، ٨٠]

وأخبر ﷻ أن هذا القرآن لكمال تأثيره في القلوب والنفوس لو أنزله على جبل لرأته خاشعا متصدعا من خشية الله:

قال الله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

الْأَمْثَلُ نُضْرِمَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ ﴿٨١﴾ [الحشر: ٢١]

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع وهو ع ليه شاق له أجران».

والأجران؛ أحدهما: على التلاوة، والثاني: على مشقتها على القارئ.

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه».

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

وفي «صحيح مسلم» أيضاً^(٢) من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل».

وفي «صحيح مسلم» أيضاً^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» ز

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تعاهدوا القرآن؛ فوالذي نفسي بيده هو أشد ثقلنا من الإبل في عقلها».

وفي «الصحيحين»^(٥) أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي».

تلك - أيها الناس - بعض فضائل القرآن.

وقد رتب الله الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن تعلم القرآن وعلمه، وجعلهم خير هذه الأمة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۗ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ

عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

وفي «الصحيحين» من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «المشكاة» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف».

وتلاوة كتاب الله -أيها الناس- كما قال بعض أهل العلم علم نوعين:

النوع الأول: تلاوة لفظية: وهي قراءته؛ وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضلها، إما في جميع القرآن وإما في سور أو آيات معينة منه.

النوع الثاني: تلاوة حكمية: وهي تصديق أخباره، وتنفيذ أحكامه بفعل أو امره واجتناب نواهيه، وهذا النوع هو الغاية الكبرى من إنزال القرآن كما قال ربنا تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ وَإِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذُبَّوْاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ولهذا درج السلف الصالح رضي الله عنهم على ذلك يتعلمون القرآن، ويتصدقون به، ويطيعون أحكامه تطبيقاً إيجابياً عن عقيدة راسخة.

قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمته الله: حدثنا الذي كانوا يقرئونا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

وهذا النوع من التلاوة هو الذي عليه مدار السعادة والشقاوة.

قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتْنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٣]

فبين الله في هذه الآيات الكريم ثواب المتبعين لهداه الذي أوحاه إلى رسله، وأعظمه هذا القرآن العظيم، وبين عقاب المعرضين عنه، أما ثواب المتبعين له فلا يضلون، ولا يشقون، ونفي الضلال والشقاء عنهم يتضمن كمال الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة: وأما عقاب المعرضين عنه المتكبرين عن العمل به؛ فهو الشقاء والصلال في الدنيا والآخرة، فإن له معيشة ضنكا، فهو في دنياه في هم وقلق نفسي، ليس له عقوبة صحيحة ولا عمل صالح: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

وهو في قبره في ضيق وذنك، قد ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، وهو في حشره أعمى لا يبصر: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧]

فهم كما عموا في الدنيا عن رؤية الحق، وصموا عن سماعه، وأمسكوا عن النطق به: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [فصلت: ٥]

جازاهم الله في الآخرة بمثل ما كانوا عليه في الدنيا، وأضاعهم كما أضاعوا شريعته ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتْنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٥، ١٢٦]

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القرآن حجة لك أو عليك».

-أيها الناس-: علينا أن نجعل القرآن حجة لنا لا علينا؛ وذلك بتلاوته حق تلاوته، والعمل به، وذلك بتصديق أخباره، واتباع أحكامه، فعلا للمأمورات وتركها للمنهيات، ومن كان هذا حاله فإن القرآن يكرمه حين ينشق عنه قبره يوم القيامة بإذن الله.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن من حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواج، وأسهرت ليلك إن كان تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذه؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد وفي درجة الجنة وغرفها فهو صعود ما دام يقرأ هزا أو ترتيلا».

أستغفر الله.

الخطبة الثانية: آداب تلاوة القرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث عن فضل تلاوة القرآن العظيم، والآن حديثي معكم عن:

(آداب تلاوته)

وهي كثيرة وسف أقتصر على بعض منها.

فمن آداب تلاوة القرآن الكريم: إخلاص النية لله تعالى فيها؛ لأن تلاوة القرآن عبادة عظيمة، والإخلاص شرط في قبولها، فتلاوة بلا إخلاص رعد بلا مطر.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح أبي داود»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرءون القرآن، قال: «اقرأوا القرآن وابتغوا به من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن نقرأ بقلب حاضر، نتدبر ما نقرأ ونتفهم معانيه، وتخضع عند ذلك قلوبنا، ونستحضر بأن الله ﷻ يخاطبنا في هذا القرآن، فإنه خطاب من الله لنا على لسان رسوله ﷺ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٣٧] (ق: ٣٧)

وعن الحسن رضي الله عنه قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويفندونها بالنهار».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يقرأ على طهارة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يستغيد بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة؛ لقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ ولئلا يصدّه الشيطان عن القراءة أو كمالها.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٩/٦)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨٣٠).

وأما البسملة: فإن كان ابتداء قراءته من أثناء السورة فلا يبسمل، وإن كان من أول السورة فليبسمل إلا في سورة «التوبة» فإنه ليس في أولها بسملة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم أشكل عليهم حين كتابة المصحف: هل هي سورة مستقلة أو بقية الأنفال؟ ففصلوا بينهما بدون بسملة.

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يقرأ بتدبر وخشوع؛ لأن ذلك هو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب. قال الله سبحان الله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وقال الله سبحان الله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يحسن القارئ صوته بالقرآن ويترنم به؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «ما أذن الله لشيء (أي: ما استمع لشيء) كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به».

وفي «الصحيحين»^(٢) أيضا من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

ولكن إن كان حول القارئ أحد يتأذى بجهره في قراءته كالنائم والمصلي ونحوهما؛ فإنه لا يجهر جهرا يشوش عليه أو يؤذيه؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خرج على الناس وهم يصلون ويجهرون بالقراءة، فقال كما في «الموطأ» بسند صحيح^(٣) من حديث البياض: أن رسول

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

(٣) صحيح: أخرجه مالك في الموطأ (ص ٩٠) رقم (١٧٤).

الله ﷻ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم فقال: «كلكم يناجي ربه، فلا يجهر بعضكم على بعض في القرآن».

ومن آداب تلاوة القرآن: أن يرتل القرآن ترتيلاً؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]

وفي «صحيح البخاري»^(١) معن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مدا ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» يمد (بسم الله)، ويمد (الرحمن)، ويمد (الرحيم).

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسن صحيح صححه الألباني في «صحيح الترمذي»^(٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يقطع قراءته آية آية، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

اللهم اجعل القرآن الكريم حجة لنا لا علينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، ووفقنا لتدبر معانيه وتطبيق أحكامه، وحفظ حدوده ورعاية حرمة.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣٠٢/٦) والترمذي (٢٩٢٧) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣١٠٧).

الخطبة الأولى: من أخطاء الصائمين

إن الحمد لله ...

أما بعد: حديثي معكم - أيها الناس - عن أخطاء يقع فيها بعض الصائمين، وهي كثيرة، والقصد من بيان بعض أخطاء الصائمين هو إعانة من وقع في شيء منها على اجتنابها.

فمن أخطاء بعض الصائمين:

التلفظ بالنية عند الإفطار وعند السحور:

والنية أينها الناس محلها القلب، والتلفظ بالنية لم يفعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا الصحابة، ولا التابعون، ولا الأئمة الأربعة؛ لا في صلاة ولا طهارة ولا صيام ولا حج.

والعبادة تقدم على الإخلاص في المتابعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأى عبادة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي مردودة على صاحبها ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ مسلم^(٢): «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

ومن أخطاء بعض الصائمين:

العلاة في رمضان فقط أو من الجمعة إلى الجمعة:

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم (١٧١٨).

وهذا غياة في الشين؛ فإن بعض أهل العلم يذهبون إلى بطلان صيام من يصوم ولا يصلي، وذلك لأن الصلاة عمود الدين، فهي الأساس الذي يقوم عليها البناء، فإذا لم يجد الأساس فالبناء آيل للسقوط لا محالة.

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن حسنه الألباني في «الإرواء»^(١) من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه يقول: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»^(٣) من حديث عبدالله بن بريدة رضي الله عنه قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة.

بل قد نقل ابن حزم وغيره من أهل العلم إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة^(٤).

ومن أخطاء بعض العائمين: كثرة النوم في نهار رمضان:

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٣٩/٨).

(٢) رواه مسلم (٧٦).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٧٧٠)، وصححه الألباني في «الترغيب» (٢٧٧/١) (٦٤).

(٤) انظر المحلى (٢/٢٤٢)، وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٢٦)، والشرح الممتع لابن عثيمين (٢/٢٨).

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»^(١) م حديث خوات بن جبير رضي الله عنه قال: «نوم أول النهار خرق، وأوسطه خلق، وآخره حمق».

فقوله: (خرق): أي جهل، فإن وقت أول النهار وقت غنيمة، فإنه القسم وحلول البركة في الأعمال والأرزاق.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»^(٢) من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم بارك لأمتي في بكورها».

قال صخر: وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم أو النهار، وكان صخر تاجرا، وكان إذا بعث تجارة بعثها أو النهار، فأثري وكثر ماله.

وليس مقصودنا أن النائم لا يرزق، بل إن الله يرزق البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ولكن البركة كنز لا يناله إلا المستيقظون في هذا الوقت المبارك.

وقوله: (خلق): أي أن نوم وسط النهار خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو نومة المهاجرة؛ أي قبل صلاة الظهر بساعة، إلا يوم الجمعة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام فيه بعد الظهر.

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص ٤٥٦).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي في «سننه» (١٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٣٦).

وقوله: (نوم وسط النهار): فيه إشارة إلى ما أخرجه أبو نعيم في «الطب» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلوا؛ فإن الشياطين لا تقيل».

وقوله: (حمق) أي: وضع الشيء في غير موضعه.

وأعدل النوم -أيها الناس- كما يقول الإمام ابن القيم رحمته الله: «نوم نصف الليل الأول، وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمان ساعات وهذا أعدل النوم عند الأطباء».

ومن أخطاء بعض المائمين: الإكثار في الأكل والمشرب في رمضان:

وتكلف شراء بعض المأكولات التي لا يأخذها في غير رمضان، وكثرة الأكل يدعو إلى الغفلة، كما أن قلة الأكل توجب رقة القلب، وانكسار النفس، وضعف الهوى فينبغي التوسط في كل شيء؛ فلا يضيق الإنسان على نفسه ولا يفرط في الأكل، وخير الأمور أوسطها، والتوسط أيضا من أعظم أسباب حفظ الصحة؛ فإن الله سبحانه وتعالى جمع الطب كله في نصف آية فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

قال بعض العلماء: «جمع الله بهذه الكلمات الطب كله»^(٢).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صحح الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه،

(١) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الطب» (٨/١٢)، وحسن الألباني في «الصحيحة» (١٦٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١٨٦/٢).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥).

بحسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعام، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

وقد كان السلف رضي الله عنه ينفرون ممن عرف بكثرة الأكل؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث نافع قال: رأى ابن عمر مسكيا، فجعل يضع بين يديه، ويضع بين يديه، فجعل يأكل كثيرا، قال: لا تدخلن هذا علي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

ومن أخطاء بعض الصائمين: أكل الثوم، والبصل والكرات وكل ما له رائحة مؤذية:

كالفجل والدخان، وذلك عند الفطور وقبل الذهاب إلى المساجد. وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حضور المساجد لمن أكلها. ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أكل الثوم، والبصل، والكرات فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

قال الإمام النووي رحمته الله: قال بعض العلماء: ويلحق بالثوم والبصل ولاكرات كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها.

قال القاضي: ويلحق به من أكل فجلا وكان يتجشأ.

وقال ابن الرابط: ويلحق به من به بخر في فيه، أو به جرح له رائحة.

(١) رواه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠).

(٢) رواه البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).

قال القاضي: «وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد؛ ممصلى العين والجنائز ونحوها من مجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها، ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها»^(١).

ومن أخطاء المائمين: تتبع الصوت الحسن في المساجد عند القيام وغيره:

وقد نهى النبي ﷺ أن يتخطى الرجل مسجده إلى غيره من المساجد، فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد قاله الألباني في «الصحيحة» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليصل الرجل في المسجد الذي يليه ولا يتبع المساجد». قال ابن القيم رحمته الله: «وما ذاك إلا لأنه ذريعة لهجر المسجد الذي يليه، وإحاش صدر الإمام، وإن كان الإمام لا يتم الصلاة، أو يرمى ببدعة، أو يعلن بفجور؛ فلا بأس بتخطيه إلى غيره»^(٢).

ومن أخطاء بعض المائمين الإفطار على سجائر:

وهذا مخالف لهدي نبينا ﷺ؛ فإن النبي ﷺ كان يفطر على الرطب أو التمر إن تيسر أو الماء، لما في «سنن أبي داود» بسند حسن حسنه الألباني في «الإرواء»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من الماء».

(١) شرح النووي على مسلم (ص ٤٢٠).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١٦٠).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٩٢٢).

وهذا مع ما في السجائر من أضرار بالغة للصحة، فنقول لمن ابتلي بالدخان: يا أخي؛ اتق الله في نفسك؛ فإنها أمانة، وهي ملك لخالقها ورازقها، فلا تلهكها بالدخان واجعل صدك في تركها وجه الله يخلصك الله منها.

ومن أخطاء بعض الصائمين: التخفيف المفرط في صلاة التراويح:

فإذا كان الإمام لا يتم الركون ولا يتم السجود؛ فوجب على الناس أن ينصحوا له بالتي في أحسن للتي هي أقوم، فإن أبي فالصلاة ورائه لا صتح، ولا يصح الاقتداء به، ويجب إعادة الصلاة؛ لما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل يصلي، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه اسلام فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل».

فصلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»-ثلاثا- فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيرها، فعلمني، قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: فكل من لم يتم ركوعه أو سجوده أو غير ذلك مما هو مأمور فعليه بالإعادة^(٢).

وأستغفر الله.

(١) رواه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧).

(٢) الفتح (١/٣٤٨).

الخطبة الثانية: من أخطاء بعض الصائمين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين،

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث معكم عن أخطاء بعض الصائمين، وحديثي معكم
الآن هو تكملة لما سبق، فإن أخطاء بعض الصائمين أكثر من أن تحصر.

فمن أخطاء بعض الصائمين: سوء الخلق:

فبعض الصائمين يكون سيء الخلق؛ بسبب امتناعه عن الأكل والشرب؛ فتراه قاسياً
فظا غليظاً على أهله وعلى الناس الذين يعاملهم ويحتك بهم، وهذا خلاف ما يجب أن
يكون عليه الصائم من حسن الخلق.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه قال: «الصيام
جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم؛ فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قالته فليقل:
إني امرؤ صائم».

ومعنى (جنة): أي وقاية وستر. ومعنى (فلا يرفث): المراد هنا الكلام الفاحش،

وهو يطلق على هذا كما يطلق على الجماع. كما قال الله سبحان الله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]

(١) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

ومعنى (فلا يجهل): أي لا يفعل شيئاً من أفعال أهل الجهل؛ فإن سبه أحد أو قتاله أو شتمه فلا يرد عليه بالمثل، بل يقول: إني صائم إني صائم.

وفي هذا الحديث الحث على التمسك بالأخلاق الحسنة، فالصائم في عبادة طول يومه، فلا ينبغي أن يشي عبادته وينقص أجرها.

ولعل الدافع لسوء الخلق في رمضان الغضب:

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله^(١): «والغضب وسوء الخلق في رمضان يكثر لضعف الإيمان، فمن الناس من تراه كثير الغضب سيء الخلق مع الناس، ومع أهله، ومع الجيرا، وحجته أنه جوعان، وهذا ينافي آداب الصيام، فالصيام من أعظم العون على محاربة الهوى وقمع الشهوات وتزكية النفوس، فيحبس اللسان عن اللغو والسياب والهديان، ولا يخفى أن سوء الخلق من نزغات الشيطان، والله عز وجل يقول: ﴿وَأَمَّا

يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وكثرة الغضب لا تدل على القوة ولا على رزانة العقل؛ ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب».

ومن أخطاء بعض المائمين: الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور:

(١) جامع العلوم والحكم (١٤٦).

(٢) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

كل ذلك وغيرها تنقص أجر الصائم لا محالة؛ ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه».

وأخرج التبريزي في «مشكاة المصابيح» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) م حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

ومن أخطاء بعض الصائمين: استغلال شهر رمضان للمسألة:

فمن المعلوم أن شهر رمضان هو شهر الجود والإحسان فعلى أهل الخير أن يتحروا بصدقاتهم المحتاجين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وينظروا للأرامل والأيتام الذين لا عائل لهم.

ومن الخير لهم أن يعطوهم الصدقة يدا بيد إن أمكن ذلك.

وأما الذي ينتقلون من مسجد إلى مسجد فلا يسلم الإمام إلا وهم في القبلة يسألون الناس لأنفسهم ولغيرهم؛ فهؤلاء منهم من يكون محتاجاً ومنهم أصحاب الخيل.

فإلى هؤلاء جميعاً أذكهم بما جاء في «مسند أحمد» بسند صحيح من حديث حبش بن جنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سأل من غير فقر فكأنها يأكل الجمر»

(١) رواه البخاري (٦٠٥٧).

(٢) صحيح: أخرجه التبريزي في «المشكاة» (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» من حديث سهل بن حنظلية قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار» قالوا يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «يغذيه أو يعشيه».

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم».

وأسأل الله أن يفقهنا في الدين ولا يجوزنا إلى أحد من خلقه.

الخطبة الأولى: العشر الأواخر من رمضان

إن الحمد لله...

أما بعد: حديثي معكم اليوم -أيها الناس- عن العشر الأواخر من رمضان.
-أيها الناس-؛ إن العشر الأواخر من رمضان فيها من الأجر العظيم والمزايا ما ليس
لغيرها من أيام رمضان ولياليها.

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخصها بالاجتهاد في العبادات ويجتهد بالعمل فيها أكثر من
غيرها.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجتهد في العشر
الأواخر ما لا يجتهد في غيره.

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر
شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله.

وفي رواية «أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر» ومعنى شد المئزر هو كناية
عن اعتزال النساء ليتفرغ للصلاة والذكر.

والمراد بـ «أحيا الليل»: إحياء غالبه، ويؤيده ما في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث
عائشة رضي الله عنها قال: «ما أعلمه صلى الله عليه وآله وسلم قام ليلة حتى الصباح».

(١) أخرجه مسلم (١١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

ومما يدل على ميزة العشر الأواخر على غيرها أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها واعتكف أصحابه معه وبعده، واعتكف أزواجه من بعده.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط ثم قال: «إني أعتكف العشر الأول أتمس هذه الليلة، ثم أعتكف العشر الأوسط، فليلي: إنها في العشر الأواخر فمن أحب أن يعتكف فليعتكف».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ﷻ ثم اعتكف أزواجه من بعده.

-أيها الناس-؛ تقدم أن النبي ﷺ كان يعتكف في المسجد وخاصة في العشر الأواخر وكذلك اعتكف أصحابه معه ومن بعده، وكذلك نساؤه من بعده.

والاعتكاف: شرعا: هو الإقامة في المسجد بينة التقرب إلى الله ﷻ. وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فأما الكتاب: فقول الله ﻻ تَبْسُرْهُمُ **﴿وَلَا تَبْسُرْهُمُ﴾ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** [البقرة: ١٨٧]

وأما السنة: ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٣) رواه البخاري (٦٦٩)، ومسلم (١١٦٧).

وأما الإجماع: فقد قال ابن المنذر في كتابه «الإجماع»: «وأجمعوا على أن الاعتكاف جائز»^(١).

والاعتكاف - أيها الناس - سنة مستحبة في حق الرجال والنساء سواء، وهو واجب بالندر:

قال النووي رحمته الله: «قد أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب»^(٢)

وقال أيضا: الاعتكاف سنة بالإجماع، ولا يجب إلا بالندر بالإجماع»^(٣).

والاعتكاف - أيها الناس - يجوز في سائر أيام السنة، وهو في رمضان أكد، وفي العشر الأخير منه أفضل.

لما في «الصحيحين»^(٤) من حديث عائشة رضي عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء، فأذنت لها فضربت خباء، فلما رآته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر، فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رأى الأخبية، فقال: «ما هذا؟» فأخبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألبرتون بهن؟» فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرة من شوال.

ويبدأ وقت الاعتكاف:

(١) الإجماع (١٣٦).

(٢) شرحه على مسلم (٨ / ٩٥).

(٣) المجموع (٦ / ٥٠١).

(٤) رواه البخاري (٢٠٣٣)، ومسلم (١١٧٢).

من بعد صلاة الفجر؛ لما في «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان، فإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه».

وبوب له النووي حرمه الله «باب: متى يدخل ممن أراد الاعتكاف في معتكفه»^(٢).

أما وقت خروج المعتكف من معتكفه:

فصبيحة يوم العيد؛ لما في «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط، فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا. قال الحافظ: (استدل بهذا على أن مبدأ الاعتكاف من أول النهار).

وللاعتكاف -أيها الناس- شروط:

وشروطه ما ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ففي «سنن أبي داود» بسند حسن الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٤) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: السنة على المعتكف ألا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج حاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع.

(١) رواه البخاري (٢٠٤١)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) شرحه على مسلم (٩٨ / ٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٤٠).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢١٦٠).

فقولها: (لا يعود مريضاً): أي لا يزوره، ولكن للمعتكف أن يسأل عن المريض؛ لما في «الموطأ» بسند صحيح^(١) حديث عمرة بنت عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا اعتكفت لا تسأل عن المريض إلا وهي تمشي لا تقف.

وقولها: (لا يمس المرأة ولا يباشرها): وذلك لأن الوطء في الاعتكاف محرم بالإجماع؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] وكذلك يحرم على المعتكف أن يقبل زوجته بإجماع العلماء.

قال ابن عبد البر رحمته الله: «أجمع العلماء أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل».

وأما إذا وقع المعتكف على امرأته فإن اعتكافه فسد ويستأنف^(٢)

وقولها: «ولا خرج لحاجة إلا لما لا بد منه»: والحاجة التي لا بد منها هي: الطعام والشراب إذا لم يجد من يحضرهما له، وكذلك البول والغائط، وكذلك غسل الجنابة والجمعة، وكذلك إغلاب الزوجة وغيرها.

قال الإمام ابن العربي رحمته الله: (رخص للمعتكف في حاجة الإنسان للضرورة الداعية وبقي سائر أفعال الاعتكاف كلها على أصل المنع).

وقولها: «ولا اعتكاف إلا بصوم»:

قال ابن حجر رحمته الله: «ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف مفطراً قط، ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مع الصوم، فالقول

(١) الموطأ (١/٣١٢).

(٢) التمهيد (٨/٣٢).

الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف: أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية^(١)

وقولها رضي الله عنها: «ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع»: قولها إنما هو عام في أي مسجد وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

-أيها الناس-: ذلك بعض هدي النبي ﷺ في العشر الأواخر، فلا يفوتكم ذلك الخير، بل لعل بعضنا قد لا يدركه رمضان القادم.

والموت غيب ولا يدري أحدنا متى الموعد.

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن بعض هدي النبي ﷺ في العشر الأواخر من رمضان، وحيثي معكم الآن عن ليلة القدر التي شرفها الله على غيرها، ومن على هذه الأمة بجزيل فضلها، وعظيم خيرها، وعظيم بركتها.

ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أنزل فيها:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَّمُهَا حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١]

(١) فتح الباري (٤/٣٢٢).

والقدر: بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى التقدير والقضاء، لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها ما يكون في السنة ويقضيه من أموره الحكيمة.

«ليلة القدر خير من الف شهر»: يعني في الفضل والشرف وكثرة الثواب والأجر، ولذلك كان من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

«تنزل الملائكة»: عباد من عباد الله قائمون بعبادته ليلاً ونهاراً: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) [الأنبياء: ١٩، ٢٠]

يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بلاخير والبركة والرحمة.

و(الروح): هو جبريل عليه السلام، خصه بالذكر لشرفه وفضله.

(سلام هي): يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مخوف لكثير من يعتق فيها من النار، ويسلم من عذابها.

(حتى مطلع الفجر): يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر؛ لانهاء عمل الليل به^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٢) ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٤) ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٥) ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦) ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٧) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ (٨) [الدخان: ٣، ٨]

(١) مجالس شهر رمضان لاب عثيمين (ص ١٢٩).

وصفها الله ﷺ بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، ومن بكرتها أن هذا القرآن العظيم أنزل فيها.

ووصفها ﷺ بأنه يفرق كل أمر حكيم؛ يعني يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتابة ما هو كائن من أمر الله ﷺ في تلك السنة من الأرزاق والآجال، والخير والشر، وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة المتقنة التي ليس فيها خلل ولا نقص ولا شفة ولا باطل، ذلك تقدير العزيز العليم^(١)

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وليلة القدر -أيها الناس- تكون في العشر الأواخر من رمضان ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان».

وتكون في الأوتار من العشر الأواخر بالذات أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين، ففي «صحيح البخاري»^(٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى».

(١) المرجع السابق (ص ١٢٩).

(٢) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

(٣) رواه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

(٤) رواه البخاري (٢٠٢١).

وهي في السبع الأواخر أجرى: ففي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أروا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أرى رؤياكم قد تواطأت (يعني اتفقت) في سبع الأواخر، فمن كان متحريرا فليتحررها في السبع الأواخر».

وأرجى ما تكون ليلة القدر في ليلة سبع وعشرين: ففي «صحيح مسلم»، و«مسند أحمد»، و«سنن أبي داود»^(٢)، من حديث أبي بن كعب، ومعاوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين».

-أيها الناس-: قد ذكر أهل العلم أن ليلة القدر تكون في وتر العشر الأواخر وأنها تنتقل.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل».

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلا، وفي عام آخر ليلة خمس وعشرين، تبعا لمشيئة الله وحكمته ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «التمسوها في تاسعة تبقى، وفي سابعة تبقى، وفي خامسة تبقى»^(٣).

(١) رواه البخاري (١١٥٨)، ومسلم (١١٦٥).

(٢) رواه مسلم (٧٦٢)، وأحمد (١٣٢ / ٥) عن أبي بن كعب موقوفا، وأبو داود (١٣٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢١).

-أيها الناس-، علينا أن نجتهد في تلك الأيام الفاضلة بالعبادة؛ كالصلاة، وقراءة القرآن، والإكثار من الدعاء ولا سيما الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة؛ ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»^(١).

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٦٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٥٠).

الخطبة الأولى: هـ. الحج والعمرة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن الحج أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، فهو الركن الخامس من أركان الإسلام، فهو ختام الأمر، وتمام الإسلام وكمال الدين.

ومن أنكر فرضية الحج، فهو كافر مرتد عن الإسلام، إلا أن يكون جاهلاً بذلك، كحديث عهد بإسلام، أو ناشئ في بادية بعيدة، لا يعرف من أحكام الإسلام شيئاً، فهذا يعذر بجهله، ويعرف ويبين له الحكم، فإن أصر على إنكاره فهو كافر، وأما من تركه تهاوناً مع اعترافه بفرضيته فهذا لا يكفر، ولكنه على خطر عظيم، وقد قال بعض أهل العلم بكفره.

وأما العمر فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها واجبة، لكن وجوبها أدنى من وجوب الحج^(١).

والحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وكذلك العمرة.

ومن أدلة فرضية الحج -أيها الناس- ما يأتي:

قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]

﴿١٧﴾ [آل عمران: ٩٧]

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «-أيها الناس-، قد فرض الله عليكم الحج؛ فحجوا».

فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم».

ثم قال: «ذرني ما تركتكم، إنها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتكم عن شيء فدعوه».

وفضائل الحج -أيها الناس- لا تكاد تحصر، فمنها:

(١) انظر «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص ١٦٤) بتصرف.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، واللفظ له.

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

والحج المبرور - أيها الناس - هو الذي لا يرتكب صحابه فيه مصيبة.

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «من حج، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

والرفث - أيها الناس - كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة.

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العمرة
إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وفي «صحيح البخاري»^(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قلت: يا رسول الله، ألا
نغزوا أو نجاهد معكم؟ قال: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور» قالت
عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي «صحيح مسلم»^(٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: النبي صلى الله عليه وسلم فقلت:
ابسط يمينك فلا بايعك. فبسط يمينه، فقبضت يدي، فقال: «ما لك يا عمرو؟». قلت:

(١) رواه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).

(٢) رواه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

(٣) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٤) رواه البخاري (١٨٦١).

(٥) رواه مسلم (١٢١).

أردت أن أشرط. قال: «تشرط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟!».

وروى الطبراني في «جامعه» بسن حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك، يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة. وأما وقوفك بعرفة، إن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي، جاءوني شعثا غبرا، من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟!»

فلو كان عليك مثل رمل عالج (أي: ما تراكم من الرمل، ودخل بعضه في بعض) أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك.

وأما رميك الجمار، فإنه مدخور لك. وأما حلقك رأسك، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك».

ومن فضائل الحج -أيها الناس- أنه طريق الفنى، وأمان من الفقر:

ففي «سنن الترمذي» بسن حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنها ينفيان الفقر، والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد، والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة».

(١) رواه الطبراني في «جامعه» (٥٩٣)، وحسن الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٦٥٠).

وفي «سنن الترمذي» بسن صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج، فلم يرفث، ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه».

وللحج أياها الناس - شروط، فمنها:

- أولاً: الإسلام، فلا يصح الحج من كافر.
- ثانياً: البلوغ، فلا يجب الحج على الصبي.
- ثالثاً: العقل، فلا يجب الحج على المجنون.
- رابعاً: الحرية، فلا يجب الحج على العبد.

خامساً: الاستطاعة لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

[آل عمران: ٩٧]

وللحج أياها الناس - أربعة أركان، وهي:

- أولاً: الإحرام: وهو نية الدخول في النسك.
- ثانياً: الوقوف بعرفة.
- ثالثاً: طواف الإفاضة.
- رابعاً: السعي بين الصفا والمروة.

ومن ترك شيئاً من هذه الأركان، لم يصح حجه، حتى يأتي به.

وواجبات الحج أياها النس سبعاً، وهي:

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٨١٥)، وصححه الألباني في «صحيحي سنن أبي داود» (٦٥١).

أولاً: الإحرام من الميقات.

ثانياً: الوقوف بعرفة إلى الليل.

ثالثاً: المبيت بمزدلفة ليلة النحر.

رابعاً: البيت بمنى أيام التشريق.

خامساً: رمي الجمار.

سادساً: الحلق أو التقصير.

سابعاً: طواف الوداع.

ومن ترك واجباً من هذه الواجبات، فعليه بدله فدية، يذبحها في مكة، ويوزعها على مساكين الحرم، ولا يأكل منها شيئاً.

وأيام الحج -أيها الناس- نجملها فيما يأتي:

أولاً: يوم الثامن من ذي الحجة، ويسمى يوم التروية.

ويستحب له أن يغتسل، ويتطيب، ويلبس الإحرام، فيحرم بالحج، ويشترط إن كان خائفاً، ويبيت بمنى ليلة التاسع، ويكثر من التلبية، ويقصر الصلاة الرباعية.

ثانياً: اليوم التاسع، ويسمى يوم عرفة.

يسير إليها بعد طلوع الشمس، ويصلي الظهر والعصر جمعاً، وقصراً (جمع تقديم)، ويجتهد في الدعاء وقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

ثالثاً: ليلة مزدلفة (ليلة العيد):

يدفع إليها معد مغيب الشمس بسكينة ووقار، ويصلي بها المغرب والعشاء متى وصل جمعا بأذان واحد وإقامتين، قبل حط رحاله، وينام، ولا ينشغل بصلاة سوى الوتر، ويبقى ويصلي الفجر بها، ويقصد المشعر الحرام إن تيسر، ويدعو الله حتى يسفر جدا.

رابعاً: يوم العيد:

يكثر من التلبية، حتى يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، فيقطعها، ويكبر الله مع كل حصاة، ويذبح هدية في هذا اليوم، ويحلق شعره أو يقصره، والحلق أفضل لغير النساء، بل المرأة تقصر قدر أ، ملة من كل ضفيرة، ويطوف يوسعى حسب النسك، ويخلع إحرامه بالتحلل الأول.

خامساً: أيام التشريق:

يرمي الجمرات الثلاث بعد الزوال، يبدأ بالصغرى، ثم الوسطى، ثم العقبة الكبرى بسبع حصيات لك جمرة، يكبر عند كل حصاة، ويسن له بعد الرمي عند الصغرى والوسطى أن يدعو عندها طويلاً حسب اللوحات الإرشادية هناك، رافعا يديه، ويبيت بمنى هناك وجوباً؛ ليختم آخر أعمال الحج بطواف الوداع، وبذلك يتم حجه.

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: العمرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، أيها النس، تقدم الحديث عن الحج، والآن حديثي معكم عن العمرة.

والعمرة -أيها الناس- واجبة على الصحيح من أقوال أهل العلم لأدلة، منها:

أن الله ﷻ قرن بين الحج والعمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

وأخرج البخاري أيضا معلقا^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إنها لقريبتها في

كتاب الله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]

وأخرج البخاري أيضا معلقا^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ليس أحد إلا وعليه حجة وعمرة».

وفي «مسند أحمد» بسن صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»^(٣)، من حديث عائشة

رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟

قال: «عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة»

قال ابن خزيمة رحمته الله في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليهن جهاد لا قتال فيه»: «وإعلامه أن الجهاد

الذي عليهن الحج والعمرة بيان أن العمرة واجبة كالحج؛ إذ ظاهر قوله: «عليهن» أنه

واجب، إذ غير جائز أن يقال: على المرء ما هو تطوع غير واجب»^(٤).

(١) رواه البخاري (٥٩٧/٣-الفتح)، ووصله الشافعي كما قال ابن حجر.

(٢) رواه البخاري بصيغة الجزم (٥٩٧/٣-الفتح)، ووصله ابن خزيمة، والدارقطني،

والحاكم، كما قال ابن حجر.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٥/٦)، وقال الألباني في «الإرواء» (١٥١/٤): إسناده

صحيح.

(٤) انظر «صفة العمرة» لأشرف بن عبد المقصود (ص ١٤).

وأخرج الإمام أبو داود في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(١) من حديث الصبي بن معبد قال: «أتيت عمر رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، إني أسلمت، وأنا حريص على الجهاد، وإني وجدت الحج والعمرة مكتوبين عليّ، فأتيت رجلا من قومي، فقال: اجمعهما واذبح ما استيسر من الهدي، وإني أهلت بهما معا. فقال عمر رضي الله عنه: هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم».

وأخرج البخاري^(٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أتاني الليلة آت من ربي -وهو بالعقيق-: أن صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة».

قال النووي رحمته الله^(٣): «وهي واجبة على المذهب الصحيح، ولا تجب هي ولا الحج في العمر إلا مرة واحدة».

وفضائل العمرة -أيها الناس- كثيرة، فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العمر إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وفي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»^(١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد».

(١) رواه أبو داود (١٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٥٨٢).

(٢) رواه البخاري (٧٣٤٣).

(٣) «الإيجاز في المناسك» (ص ٤٠).

(٤) تقدم تخريجه.

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي».

قال الإمام ابن الأعرابي رحمته الله: «حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها»^(٣).

والمعتمر أيها النس من وفد الله سبحان الله

ففي «سنن ابن ماجه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»^(٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الغازي في سبيل الله ويعتقك، والحاج، والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم».

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلننا، وما أنت أعلم به منا، إنك أنت المقدم والمؤخر، لا إله إلا أنت.

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٣) نقله عنه ابن ماجه في «سننه» (٦٨ / ٣).

(٤) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣٣٩).

أركان الإيمان

الخطبة الأولى: ١- الإيمان بالله

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلّى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، أيها النس، حديثي معكم حول أصل من اصول الإيمان، بل أصل الأصول، والطريق للوصول، ألا وهو الإيمان بالله.

والإيمان بالله -أيها الناس- يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بوجود الله.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته.

الأول: الإيمان بوجود الله:

وقد دل على وجوده ﷻ الفطرة، والعقل، والشرع، والحس:

أما الفطرة: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه، ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

وأما العقل: فإن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها.

قال الله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] يعني: أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذي خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله ﷻ^(*).

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور، فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ

(١) رواه البخاري (١٣٨٥).

(٢) «شرح أصول الإيمان» (ص ١٥، ١٦).

(٣) رواه البخاري (٤٨٥٤).

(*) يجوز في لفظ الجلالة في الجملة السابقة الأمران: النصب والرفع والنصب أحسن فالنصب باعتبار ضمير الفصل (هو) حرفاً أو اسماً مهماً (أي: لا يعلم ولا محل له من الإعراب) فلفظ الجلالة بعده خبر للفعل الناسخ (يكون) والرفع باعتبار ضمير الفصل مبتدأ مبني على الفتح في محل رفع وخبره لفظ الجلالة. والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر لـ (يكون).

وَالْأَرْضَ بَلَّ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ [الطور: ٣٥، ٣٧] وكان جبير يومئذ مشركا، قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي».

وأما أدلة الشرع على وجود الله: ل فإن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك.

وأما أدلة الحس: فذلك واضح من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجود الله ﷻ، ومن ذلك معجزات الأنبياء التي شاهدها الناس، ونقلت إلينا نقلا صحيحا.

الثاني الإيمان بربوبيته ﷻ:

أي أنه وحده الرب لا شريك له ولا معين، والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خلاق إلا الله، ولا ملك إلا هو، ولا أمر إلا له.

قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]

وقال الله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]

- أيها الناس -، إن ربوبية الله خلقه على نوعين:

النوع الأول: ربوبية عامة، شاملة لجميع المخلوقات، وهي أن الله ﷻ هو المتفرد بخلقها، ورزقها، وتدبيرها.

النوع الثاني: ربوبية خاصة، وهي خصاصة بأولياء الله وأصفيائه، وهي تربيته لهم بهدايتهم للدين والإيمان.

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيره: «وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة»

فالعامّة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيريهم بالإيمان، ويفقههم له، ويكلمه لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة^(١).

-أيها الناس-، هنا سؤال يفرض نفسه هو:

هل توحيد الربوبية يكفي العبد في حصول الإسلام؟

الجواب: لا، فهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية؛ لأن الله ﷻ أخبر في كتابه الكريم عن المشركين أنهم

مقرون بهذا التوحيد وحده، قال الله ﷻ: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [يونس: ٣١]

[يونس: ٣١].

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٣٩).

ومع هذا كله من إقرار المشركين بأن الله هو الخلاق الرازق المدبر، لم ينفعهم ذلك، ولم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة أخرى، وزعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]

فتبين لكم -أيها الناس- أن الكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته، ويعرفون ملكه ويعرفون قهره، ولم تدخلهم تلك المعرفة في الإسلام.

-أيها الناس-، لا بد أنكم قد عرفتم توحيد الربوبية، وأنه لا يكفي العبد في حصول الإسلام؛ لأنه لا بد أن يأتي بلازمه، وهو توحيد الألوهية.

وفيا يأتي الحدي عن توحيد الألوهية:

وتوحيد الألوهية -أيها الناس- هو: إفراد الله ﷻ بالعبادة كلها، فلا يعبد غيره، ولا يدعى سواه، ولا يستغاث ولا يستعان إلا به، ولا ينذر ولا ينحر إلا له.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

-أيها الناس-، إن توحيد الألوهية هو الذي أنكره المشركون، واستعظموه؛ لأن من لوازمه بطلان عبادة آلهتهم ووسائطهم.

فهو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قوله: لا إله إلا الله؛ ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وفيها افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل جنة وأشقياء أهل النار^(١).

وأدلة توحيد الألوهية كثيرة، لا تكاد تحصر، منها:

قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

«ولكل ما اتخذ إلهًا مع الله، يعبد من دونه، فالوهيته باطلة. قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ يَأَنَّ

اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية. قال الله ﷻ في اللات، والعزى، ومناة:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ وَمَا [النجم: ٢٣]

وقال الله ﷻ عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ

الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [٣٩] مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا

مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٣٩].

ولذلك كانت الرسل عليه السلام يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِوَاهَ﴾

[المؤمنون: ٢٣]. ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله ﷻ،

ويستنصرون بهم، وستغيثون.

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص ٣٦).

وقد أبطل الله ﷻ اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة، لا تخلق، ولا تجلب نفعا لعبديها، ولا تدفع عنهم ضررا، ولا تملك لهم حياة ولا موتا، ولا يملكون شيئا من السموات، ولا يشاركون فيه.

قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبا: ٢٢].

وقال الله ﷻ: ﴿أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا

أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

وغذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

والثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحده بالألوهية، كما وحده بالبربوية كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَابِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢] (١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: الإيمان بأسماء الله وصفاته

الحمد لله رب العالمين، وأصلي واسلم على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم عن الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والآن حديثي معكم حول الإيمان بأسمائه وصفاته.

-أيها الناس-، **إن الإيمان بأسماء الله ومفاته**: هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، وسنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به، من غير تحريف (أي: تفسير النصوص بالمعاني الباطلة)، ولا تعطيل (أي نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة)، ولا تكييف (أي: أن يعتقد أن صفة الله ﷻ على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف؟)، ولا تمثيل (أي: اعتقاد أن صفات الله ﷻ مثل صفات المخلوقين).

قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(١) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (٢١، ٢٣).

قال ابن سعدي رحمته الله في تفسيره هذه الآية: «هذا بيان لعظيم جلاله، وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى: أي له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضاً، لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص، أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

وذلك نحو «العليم» الدال على أنه له علما محيطا عاما لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وكـ «الرحيم» الدال على أن له رحمة عظيمة واسعة لكل شيء.

وكـ «التقدير» الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.

ومن تمام كونها «حسنى» أنه لا يدعى إلا بها؛ ولذلك قال: «فادعوه بها».

وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عليّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف، ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠]

[الأعراف: ١٨٠]: أي عقوبة وعذاباً على إلحادهم في أسمائهم، وحقيقة الإلحاد؛ الميل بها عما جعلت له: إما بأن يسمى بها من لا يستحقها كتسمية المشركين بها لأهلهم، وإما بنفي

معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أَرَادَهُ اللهُ ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، ويحذر الملحدون فيها»^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته: لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وافعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثلته شيء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه.

و«وهو السميع» لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

«البصير» يرى ديبب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سيريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأقصان الدقيقة. وهذه الآية ونحوها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد على المشبهة في قوله: «ليس كمثلته شيء»، وعلى المعطلة في قوله: «وهو السميع البصير»^(٢).

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة».

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٣٠٩).

(٢) المرجع السابق (ص ٧٥٤).

(٣) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٠٦٣).

ومعنى أحصاها - أيها الناس - : أي حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدتها.

والجنة - أيها الناس - لا يدخلها إلا المؤمنون، فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصلو الإيمان وقوته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسن بمراتبها الثلاث: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله بها دعاء الشناء والعبادة ودعاء المسألة هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها؛ لأن معرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وهذه الأنواع هي روح الإيمان وأمله وغايته: فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تكييف، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله، ومحبة لربه، فمن عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله أحبه لا محالة^(١).

فنسأل الله الذي لا إله إلا هو بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يفقهنا في الدين، ويثبتنا على الحق الممين، ويجعلنا هداة مهتدين.

(١) انظر «مدارج السالكين» (١٧١٣)، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» لابن سعدي (٣٩)، و«بدائع الفوائد» (١/١٦٤)، و«شرح أسماء الله الحسنى» للقطاني (٤، ٥).

الخطبة الأولى: ٢- الإيمان بالملائكة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به ^(١).

قال الله سبحانه: ﴿ءَامِنَ الرُّسُولَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ ءَ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

(١) انظر «عالم الملائكة» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد أكثرت النقل عنه في هذه الخطبة.

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل، وفيه يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»

والملائكة -أيها الناس- عالم غيبي، مخلوقون عابدون لله تعالى وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله سبحانه وتعالى من نور.

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

-أيها الناس-، إن من الإيمان بالملائكة الإيمان بما علمنا من صفاتهم،

وفيما يأتي ذكر بعض مفاتهم:

قال الله سبحانه وتعالى في ملائكة النار: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

ومما جاء في مفة جبريل:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩، ٢١] والمراد بالرسول الكريم هنا: جبريل، وذو العرش: رب العزة والجلال.

(١) رواه البخاري (٥٠) و(٤٧٧٧)، ومسلم (٩) و(١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٦).

وروى الإمام أحمد بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عبد الله بن مسعود قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستائة جناح».

ومما جاء في وصف جملة العرش:

روى الإمام أبو داود بسن صحيح، صححه الألباني في «تخريج المشكاة»، و«السلسلة الصحيحة»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رال: «أذن لي أن أتحدث عن أحد حملة العشر، ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وللملائكة أجنحة، كما أخبرنا الله تعالى، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

قال ابن سعدي رحمته الله في قوله تعالى: «أولي أجنحة»: «تطير بها، فتسرع تنفيذ ما أمرت به. «مثنى وثلاث ورباع» أي: منهم من له جناحان، وثلاثة، وأربعة بحسب ما اقتضته حكمته»^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (١/٣٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٦٤).
 (٢) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/١٢١)، و«الصحيحة» (٧٢/١).
 (٣) «تفسير ابن سعدي» (ص ٦٨٤).

ومما جاء في وصف جمالهم أن الله ﷻ خلقهم على صور جميلة كريمة، كما قال تعالى في جبريل: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ [النجم: ٥]

قال ابن سعدي رحمه الله: في قوله تعالى: «ذو مرة»: «أي: قوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن»^(١)

وقد استقر عند الناس وصف الملائكة بالجمال، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك.

قال الله ﷻ حاكيا عن بعض النسوة: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

ومما جاء في تفاوت الملائكة في الخلق والمقدار:

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤].

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث رفاعة بن رافع أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون من شهد بدرا فيكم؟» قال: «خيارنا». قال: «وكذلك من شهد بدرا من الملائكة، هم عندنا خيرا الملائكة».

والملائكة -أيها الناس- لا يوصفون بالذكورة حيث إنه لم يرد نص في ذلك، ولا بالأنوثة، حيث ورد الذم على ذلك كما أنهم لا يأكلون، ولا يشربون.

(١) المرجع السابق (ص ٨١٨).

(٢) رواه البخاري (٣٩٩٥).

قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا أَمَلَتِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِنَّمَا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكُنَّبَ شُهُدَتُهُمْ وَسُئِلُونَ﴾ (١٩) [الزخرف: ١٩].

وأخبرنا الله ﷻ أن الملائكة جاءوا إبراهيم في صورة بشر، فقدم لهم الطعام، فلم تمتد أيديهم إليه، فأوجس منهم خيفة، فلما كشفوا عن حقيقتهم، زال خوفه.

قال الله ﷻ: ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٨]

ومما جاء في وصف عدد الملائكة:

الملائكة - أيها الناس - خلق كثير، لا يعلم عددهم إلا الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾

[المدثر: ٣١].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البيت المعمور الذي في السماء السابعة: «فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢).

وأخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أطت السماء، وحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبر إلا وفيها جبهة ملك ساجد، يسبح الله بحمده».

أيها الناس، لقد أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم،

فقد أرسل الله جبريل إلى مريم في صورة بشر، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۗ ۝١٦ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ ۝١٧﴾ [مريم: ١٦]

وإبراهيم جاءته الملائكة في صورة بشر، وجاءوا إلى لوط في صورة شباب حسان الوجوه.

وكان جبريل عليه السلام يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة، فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وهو صحابي، كان جيل الصورة، وتارة في صورة أعرابي، وقد شاهده كثير من الصحابة.

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عمر با الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١/١٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠).

(٢) رواه مسلم (٨).

الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبته إلى ركبته...»

وقد أخبر الرسول ﷺ فيما بعد أن السائل جبريل، جاء يعلم الصحابة دينهم.

والملائكة -أيها الناس- مطبوعون على طاعة الله، ليس دليهم القدرة على العميان.

قال الله ﷻ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]

وقال الله ﷻ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

-أيها الناس-، لقد اختلف العلماء حول أيهما أفضل الملائكة أم صالحو البشر؟

وتحقيق القول: ما ذكره ابن تيمية من أن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحياتهم الرحمن، وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمته بإذن ربهم.

والملائكة افضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عما يلبسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الين أكمل من أحوال البشر.

قال ابن القيم رحمه الله: «وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين كل منهم على حقه»^(١).

أستغفر الله.

الخطبة الثانية: علاقة الملائكة بذرية آدم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق الحديث معكم عن الإيثار بالملائكة، وذكر الصفات الخلقية للملائكة، وما يتعلق بها، والآن حديثي معكم عن علاقة الملائكة بذرية آدم. -أيها الناس-، لا شك أن علاقة الملائكة بذرية آدم علاقة وثيقة، فهم يقومون عليه عند خلقه، ويكلفون بحفظه بعد خروجه إلى الحياة، ويأتونه بالوحي من الله، ويراقبون أعماله وتصرفاته، وينزعون روحه إذا جاء أجله.

فمن أعمالهم حراستهم لابن آدم:

قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(١٠) لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿[الرعد: ١٠]

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن املعقات من الله: هم الملائكة، جعلهم الله؛ ليحفظوا الإنسان من أمامه، ومن ورائه، فإذا جاء قدر الله الذي قدر أن يصل إليه خلوا عنه.

ومن أعمالهم أنهم يبلغون وحي الله إلى رسله وأنبيائه:

(١) انظر «الفتاوى» (٣٥٠/١١)، و«لوامع الأنوار البهية» (٣٦٨/٢)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٣٨).

قال الله ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]

ومن أعمالهم حفظ أعمال بني آدم:

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَانِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠، ١٢]

-أيها الناس-، لقد وكل الله ﷻ بكل إنسان ملكين حاضرين، لا يفارقانه، يحصيان عليه أعماله وأقواله. قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ فَسَسَّهٗ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلٍ أَلْوَدِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٦]

وصحاب اليمين يكتب الحسنات، والآخر السيئات،

ففي «معجم الطبراني الكبير» بإسناد حسن^(١)، حسنه الألباني في «صحيح الجامع» من حديث أبي أمام أن رسول الله ﷺ قال: «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم، واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة».

والملائكة -أيها الناس- يحبون المؤمنين:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض».

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٧).

(٢) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

والملائكة تصلي على المؤمنين:

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣) [الأحزاب: ٤٣].

والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس، والاستغفار لهم وتصلي عليهم بعد كل صلاة كما في الحديث: «ما لم يؤذ ما لم يحدث» في «الصحيحين».

وهم أي الملائكة- يستغفرون للمؤمنين، ويحضرون مجالس العلم، ويشهدون جنازة الصالحين، ويبلغون الرسول ﷺ عن أمته السلام:

قال الله ﷻ: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) [الشورى: ٥].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾ [غافر: ٧].

ومما يدل على حضورهم مجالس العلم.

ما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷻ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، ويتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»
ومما يدل على شهودهم جناز الصالحين، ما روى الطبراني في «جامعه» بإسناد صحيح،
صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله
ﷺ في سعد بن معاذ: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده
سبعون ألفا من الملائكة، ولقد ضم ضمة، ثم فرج عنه».

ومما يدل على أنهم يبلغون الرسول ﷺ عن أمته السلام.

ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والنسائي في «سننه» بسند صحيح، صححه
الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يبلغوني عن أمتي السلام».

**أيها الناس، قبل أن أودع مقامي هذا، أحب أن أذكركم أن الملائكة عباد الله، اختارهم
واصطفاهم، ولهم مكانة عند ربهم، ويجب علينا أن نحب جميع الملائكة، فلا نفرق في
ذلك بين ملك وملك؛ لأنهم جميعا عباد الله، عاملون بأمره، تاركون لنهيه.**

ويجب علينا -أيها الناس- أن نعلم أن أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي،
والكفر والشرك، وأن أعظم ما يرضيهم أن يخلص المرء دينه لربه، ويتجنب كل ما
يغضبه.

(١) روى الطبراني في «جامعه» (٢٣٢٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧).

(٢) تقدم تحريجه.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦]

الخطبة الأولى: ٣- الإيمان بكتب الله

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي نَسَاءَ لُونِ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بكتب الله ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به.

والمراد بكت الله الكتب التي أنزلها الله تعالى على بعض رسله رحمة للخلق، وهداية لهم.

والإيمان بالكتب -أيها الناس- يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، والإنجيل الذي أنزل على عيسى صلى الله عليه وسلم، والزيور الذي أوتيها داود صلى الله عليه وسلم، وأما ما لم نعلم اسمه، فتؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها: كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يحرف أو يبدل من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها. وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]

أي: حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة، إلا ما صح منها، وأقره القرآن^(١)

وأدلة الإيمان بكتب الله -أيها الناس- أكثر من أن تحصر، فمنها:

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ٢، ٤]

وقال الله تعالى: ﴿وَعَايَنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١٦٤]

(١) انظر «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص ٣٠، ٣١).

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زَيْرِ الْأُولَىٰ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٦]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها، حتى انتصف النهار، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا به، حتى صليت العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا، ثم أوتيتم القرآن، فعملتم به، حتى غرب الشمس، فأعطيتم قيراطين قيراطين.

فقال أهل الكتاب: هؤلاء أقل منا عملا، وأكثر أجرا!؟

قال الله: هل ظلمتكم من حركم شيئا؟ قالوا: لا. قال: فهو فضلي، أوتيه من أشاء.

وفي «صحيح البخاري» أيضا^(٢) من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خفف على داود عليه السلام القرآن، (أي: القراءة)، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إعلا من عمله يده»

والقرآن الكريم -أيها الناس- أطول الكتب السماوية وأشملها:

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٦٧) و(٧٥٣٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٤١٧).

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث وائلة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل».

والكتب السماوية -أيها الناس- كلها أنزلت في شهر رمضان:

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث وائلة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الغنجيل لثلاث عشر مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

أيها الناس، كما يجب علينا الإيمان بالكتب السابقة، فإنه يجب علينا ألا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم.

ففي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَأَمْنَا بِالَّذِي نُنزِلُ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ

إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «تخريج الترغيب» (٢/٢١٧)، و«الصحيححة» (١٥٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٥٩).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وحسن الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٩٧)، و«الصحيححة» (١٥٧٥).

(٣) صحيح البخاري (٧٣٦٢).

-أيها الناس-، نحن لا نصدق أهل الكتاب؛ لأنهم حرفوا وبدلوا، ولا نكذبهم؛ حتى لا يخبرونا بحق فنكذبهم، أو يبطل فنصدقهم.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «إرواء الغليل»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب، أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه للنبي صلى الله عليه وسلم، فغضب، فقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو يبطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى عليه السلام كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني». ومعنى متهوكون: أي متحIRON.

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم، أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب؟! وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثمنا قليلا.

أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن (مسألتهم)؟!، ولا - والله - ما رأينا منهم رجلا - قط - يسألكم عن الذي أنزل عليكم».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٥).

أما بعد،

-أيها الناس-، سبق الحديث معكم حول الإيمان بكتب الله، وأن نزولها من عند الله حقا، وأنه لا يجوز أن نصدق أهل الكتاب أو نكذبهم؛ لئلا نكذبهم بحق، أو نصدقهم باطل، ولأن الله ﷻ أخبرنا عن أهل الكتاب أنهم غيروا وبدلوا في كتب الله، فقال الل ﷻ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

والآن حديثي معكم -أيها الناس- عن القرآن الكريم:

كتاب الله الذي أنزله على خير خلقه محمد ﷺ، كما أنزل غيره من الكتب على من سبق من الرسل، فالقرآن الكريم -أيها الناس- سنخ بأحكامه سائر الأحكام في الكتب السماوية السابقة، كما ختم برسالة صاحبه كل رسالة سابقة.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي حاكما عليه، ومشملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة.

والقرآن الكريم -أيها الناس- هو الكتاب الوحيد الذي ضمن الله سلامته من النقص والزيادة، ومن التبديل والتغيير، وبقائه حتى يرفعه إليه.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]

قال بان سعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «إنا نحن نزلنا الذكر» أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، و«وإننا له لحافظون» أي: في حال إنزاله، وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله، أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيه، ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها، والزيادة، والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا

يحرف محرف معنى من معانيه، إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجاحهم^(١).

وفضائل القرآن أكثر من أن تحصر، فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنُزٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١]

وقال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَتَعَّ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥]

وقال الله ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣]

وقال الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٤٢٩).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه».

وفي «صحيح مسلم» أيضاً^(٢) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن، وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه (أي: تتقدمه) سورة البقرة وآل عمران، تحاجن عن صحبهما».

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن، وعلمه».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به (أي: مجيد لفظه على ما ينبغي، بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته) مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران».

والسفرة الكرام: هم الملائكة الرسل إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

ومعنى البررة: أي المطيعين، فهم عهم في منازلهم في الآخرة. وقوله: «يتتعتع فيه»: أي يتردد في قراءته، ويتبلد فيها لسانه.

(١) «صحيح مسلم» (٨٠٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٨٠٥).

(٣) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٤) رواه البخاري (٥٣٢ / ٨)، ومسلم (٧٩٨)، واللفظ له.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد (أي: لا غبطة) إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل، وآناء النهار».

والآناء: الساعات.

وأخرج الترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: «ألم» حرف، ولكن: الف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

وأخرج الترمذي بسند حسن^(٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقال لصحاب القرآن: اقرأ وارتق (أي في درجة الجنة بقدر ما حفظته من آي القرآن) ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

﴿رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحرير: ٨]

(١) رواه مسلم (٨١٧).

(٢) رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٧٩١٥).

الخطبة الأولى: ٤- الإيمان برسول الله

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بالأنبياء والرسل أصل من أصول الإيمان لا يتم إيمان المسلم إلا به.

فنحن نؤمن بأن الله ﷻ اصطفى من الناس رسلاً، وأوحى إليهم بشرعه، وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجة الناس عليه يوم القيامة، أرسلهم بالبينات، وأيدهم بالمعجزات، ابتدأهم بنبيه نوح، وختمهم بمحمد ﷺ.

والأدلة على أن الإيمان بالرسل أصل من أطلو الإيمان أكثر من أن تحصر، فمنها: (٢)

(١) انظر «منهاج المسلم» للجزائري (ص ٢٥).

(٢) انظر «الرسول والرسالات» للأشقر، فقد استفدت منه كثيراً.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

ومدح الله ﷻ رسوله محمدا ﷺ، والمؤمنين الذي تابعوه لإيمانهم، ولعدم تفريقهم بين الرسل.

قال الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وذكر الله ﷻ أن الإيمان ببعض الرسل، والكفر ببعض كفر بهم جميعا؛ لأن الرسل حملة رسالة واحدة، ومرسلهم واحد، ودعاة دين واحد، ودعاة دين واحد، يبشر المتقدم منهم بالتأخر، ويصدق المتأخر المتقدم^(١).

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أَجْرَهُمْ طَيِّبًا ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠].

(١) المرجع السابق (ص ٢٤، ٢٥).

وذم الله ﷺ أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل، وكفرهم ببعض، فقال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ٩١].

وأدلة السنة ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في جواب جبريل حيث سأله عن الإيمان، فقال له: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

-أيها الناس-، بعد أن علمنا أن الإيمان بالرسول أصل من أصول الإيمان، علينا أن نعرف شيئاً من صفات الرسل، ووظائفهم، ومهامهم.

فمن صفاتهم -أيها الناس- أنهم بشر مثلنا، يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، لكن الله اختارهم تكريماً وتفضيلاً.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]

ومن صفاتهم أنهم يتعرضون للبلاء، بل إنهم أشد الناس بلاء:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَآيَدْنَاهُ رُوحَ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]

وأخرج الترمذي في «سننه» بسند حسن صحيح، وحسن إسناده الألباني في «صحيح سنن الترمذي»^(١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحدا أشد عليه الوجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ومن صفاتهم أيها الناس - أنه ليس لهم من خصائص الألوهية والملائكية شيء:

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وكذا قال الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/٢٨٦).
(٢) رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

فهم لا يدعون شيئاً من صفات الله ﷻ، ولكنهم يمثلون الكمال الإنساني؛ لأن الله اختارهم، واصطفاهم لنفسه.

قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

ومن صفاتهم الكمال في الخلقة الظاهرة، وفي الأخلاق:

قال ابن حجر رحمه الله: «إن الله الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال، وإن من نسب نبياً إلى نقص في خلق، فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر»^(١).

وأيضاً الأنبياء خير الناس نسبا:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾

[الحديد: ٢٦].

ومن صفاتهم الذكورة:

فلم يبعث الله ﷻ رسولا من النساء، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا

نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧]

والأنبياء والرسول -أيها الناس- جم غفير:

فقد كثر الأنبياء والرسول في تاريخ البشرية كثرة هائلة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «مشكاة المصابيح»^(١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر

(١) «فتح الباري» (٦/٤٣٨).

جما غفيرا» وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا».

وهذا العدد الكبير للأنبياء والرسل -أيها الناس- يدلنا على أن الذين نعرف أسماءهم من الرسل والأنبياء قليل، وأن هناك أعدادا كثيرة لا نعرفها.

قال الله ﷻ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

[النساء: ١٦٤]

وقد ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم خمسة وعشرين نبيا ورسولا:

فذكر في مواضع متفرقة آدم، وهودا، وشعبيا، وإسماعيل، وإدريس، وذا الكفل، ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

وقال ﷻ: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]

وقال ﷻ: ﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١]

وقال ﷻ: ﴿وَالِإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤]

وقال ﷻ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلَىٰ﴾ [الفتح: ٢٩]

(١) رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٢٢/٢).

وذكر ﷺ ثمانية عشر نبيا في موضع واحد في سورة الأنعام، فقال ﷺ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَخُذَّيًّا وَيُوحَنَّا وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣]

ولقد أخبرنا الله ﷻ أنه فضل بعض النبيين على بعض، فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥]

وقال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]

وأفضل الرسل والأنبياء خمسة:

محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل وأفضل أولي العزم محمد ﷺ، وقد ذكرهم الله في كتابه، فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]

ولنعلم أيها الناس - أنه قد جاءت أدلة تنهى عن التفصيل بين الأنبياء:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء».

(١) رواه البخاري (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤).

قال الطحاوي رحمته الله: «هذه الأحاديث لا تعارض النصوص القرآنية التي تدل على أن الله فضل بعض الأنبياء على بعض، وبعض المرسلين على بعض، وينبغي أن يحمل النهي الذي ورد في الأحاديث على النهي عن التفضيل، إذا كان على وجه الحمية والعصبية والانتقاص، إذا كان هذا التفضيل يؤدي إلى خصومة أو فتنة»^(١) ومما يدل على ما ذهب إليه الطحاوي: ما جاء في «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم على العالمين في قسم يقسم به.

فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرجع المسلم عند ذلك يده، فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: «لا تخبروني على موسى؛ فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفتق، فإذا أنا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله». وفي رواية عند البخاري: «لا تفضلوني على الأنبياء». وفي رواية: «لا تخبروني على الأنبياء».

قال ابن حجر عن بعض أهل العلم أنه قال: «الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجالدة أهل الكتاب، وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة؛ لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين، لا يأمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر،

(١) «شرح الطحاوية» (ص ١٧٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٨) و (٦٥١٧).

يفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التمييز مستندا إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان، فلا يدخل في النهي^(١).

وأستغفر الله.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث معكم حول الإيمان بالرسول، مع ذكر شيء من صفاتهم، والآن حديثي معكم حول وظائف الرسول ومهامهم.

فمن وظائفهم -أيها الناس- البلاغ المبين:

فهم سفراء الله إلى عباده، ورحمة وحيه، قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ

وَيُحْسِنُونَ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ اللَّهُ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

وقال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

رِسَالَاتِهِ﴾ [المائدة: ٦٧]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ دُونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠]

ومن وظائفهم التبشير والإنذار:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

[النحل: ٣٦]

(١) «فتح الباري» (٦/٤٤٦).

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ خُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣]

ومن وظائفهم إصلاح النفوس وتركيبتها:

قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]

ومن وظائفهم إقامة الحجة:

لا أحد أحب العذر إليه من الله ﷻ؛ لذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ كي لا يبقى للناس حجة في يوم القيامة.

قال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ نُوحِ﴾ [النساء: ١٦٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّذَلَ وَفُخْرِي ﴿١٧٤﴾﴾ [طه: ١٣٤]

ومن وظائفهم سياسة الأمة:

قال الله ﷻ: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون

خلفاء، فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوايعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم الذي جعله الله لهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(١)

-أيها الناس-، قبل أن أودع مقامي هذا، أحب أن أذكركم أن الدين الذي دعت إليه الرسل جميعا واحدا، هو الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

وهذا نوح يقول لقومه: ﴿وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]

والإسلام: هو الدين الذي أمر الله به أبا الأنبياء إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ويوصي كل من إبراهيم ويعوب أبناء قائلا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وموسى يقول لقومه: ﴿يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]

والحواريون يقولون لعيسى: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]

وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [التقصص: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٧١)، ومسلم (٦/ ١٧).

هـ- الإيمان باليوم الآخر:

الخطبة الأولى: أ. القبر أول منازل الآخرة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، لا شك أن الإيمان باليوم الآخر اصل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المسلم إلا به لأدلة كثيرة، فمنها:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]

وقال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ؕ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ

وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [النساء: ١٦٢]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل، وسؤاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان، بعد أن سأله عن الإسلام، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

-أيها الناس-، إن الإيمان باليوم الآخر لا يقتصر على يوم القيامة، بل يدخل في ذلك الإيمان بعذاب القبر ونيعمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يكون بعد الموت»^(٢).

ومما يدل على أن عذاب القبر ونيعمه يدخل في الإيمان باليوم الآخر قول الله سبحانه وتعالى:
﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تُوَفِّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣١، ٣٢]

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله في تفسير هذه الآية «الذين تتوفاهم الملائكة مطيبين يقولون» حال توفيقهم: «سلام عليكم ادخلوا الجنة»، وهم وإن لم يدخلوا الجنة التي عرضها السموات والأرض، لكن دخلوا القبر الذي فيه نعيم الجنة.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُورَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٩]

(١) تقديم تخریجه.

(٢) «تعلیقات على العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (ص ٥).

وهذا يكون إذا بلغت الروح الحلقوم، وهذا هو نعيم القبر، بل إن الإنسان يبشر بالنعيم قبل أن تخرج روحه، يقال لروحه: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتفرح الروح بذلك، فتخرج خروجاً سهلاً ميسراً^(١)

وعذاب القبر ونعيمه - أيها الناس - ثابت بالكتاب والسنة:

فمن القرآن قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت» أي: شدائده، وأهواله الفظيعة، وكربه الشنيعة لرأيت أمرا هائلا، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها.

«والملائكة باسطوا أيديهم» إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم، وتعصيتها للخروج من الأبدان: «أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون» أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم، والجزاء من جنس العمل؛ فإن هذا العذاب «بما كنتم تقولون على الله غير الحق» من كذبكم، ورددكم للحق الذي جاءت به الرسل، «وكنتم عن آياته تستكبرون» أي: ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذه الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار، وقبيل الموت وبعده^(٢).

(١) «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص ٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) «تفسير ابن سعدي» (ص ٢٦٥).

وقال الله ﷻ: ﴿سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]

قال الحسن البصري رحمه الله: «سنعذبهم مرتين» عذاب الدنيا وعذاب القبر»^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [٤٥]

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [٤٦] [غافر: ٤٥]

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في

البرزخ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر»^(٢).

وقال الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [٢٧] [إبراهيم: ٢٧].

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: «أقعد

المؤمن في قبره أي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: «يثبت

الله الذين آمنوا بالقول الثابت». وفي رواية أخرى: «يثبت الله الذين آمنوا» نزلت في

عذاب القبر».

وأما أدلة عذاب القبر ونعيمه من السنة المطهرة -أيها الناس- فأكثر من أن تحصر، فمنها:

(١) «فتح الباري» (١١/٢٣٣).

(٢) «فتح الباري» (١١/٢٣٣).

(٣) «صحيح البخاري» (١٣٦٩).

روى أحمد في «مسند»، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم [مستقبل القبلة]، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عوده ينكت في الأرض، (فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه، ثلاثاً)، فقال: «استعينوا بالله من عذاب القبر، مرتين، أو ثلاثاً، (ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) (ثلاثاً)، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية: المطمئنة)، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السماء، فيأخذها، (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى الله عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤)، وأبو داود (٢٨١/٢)، والحاكم (٣٧/١، ٤٠)، والطيالسي (٧٥٣)، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧، ٣٧٠)، ورواه النسائي (٢٨٢/١)، وابن ماجه (٤٦٩/١)، (٤٧٠) القسم الأول من ه إلى قوله: «وكأن على رؤوسنا الطير»، وهو رواية أبي داود، وثمة رواية لأبي داود (٧٠/٢) بأخصر منه، وكذا أحمد (٢٩٧/٤)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وهو كما قال، وصححه ابن القيم في «أعلام الموقعين» (٢١٤/١)، و«تهذيب السنن» (٣٣٧/٤).

وهنا تنبيه مهم: وهو أن العلامة المحدث الألباني رحمته الله هو الذي جمع رواية هذا الحديث، وساقه سياقاً واحداً، ضاماً إليه جميع الزوائد والفوائد التي وردت في جميع طرقه الثابتة في كتابه «أحكام الجنائز» (ص ١٩٨-٢٠٢).

قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، (فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَقَّتهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ويخرج منها كأطيب نفحة مسلك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى المساء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عزوجل: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وما أدراك ما عليون: كتاب مرقوم يشهده المقربون»، فيكتب كتابه في عليين، ثم يقال: أعيده إلى الأرض، فإني (وعدتهم أي) منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فد(يرد إلى الأرض، و) تعاد روحه في جسده، (قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه) (مدبرين). فيأتيه ملكان (شديدا الانتهار) فد(ينتهرانه، و) يجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم}، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به، وصدقت، (فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عزوجل ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [ابراهيم: ٢٧]، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ^{صلى الله عليه وسلم}، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم)، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له:

(وأنت فبشرك الله بخير) من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في إطاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً)، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، (فيقال له: اسكن)، قال: وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد)، سود الوجوه، معهم المسوح من النار)، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (الكثير الشعب) من الصوف المبلول، (فتقطع معها العروق والعصب)، (فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تخرج روحه من قبلهم)، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعون بها، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فيقول الله عز وجل: «اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى»، (ثم يقال: أعيديوا عبيدي إلى الأرض فإني وعدتهم أنني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى)، فتطرح روحه (من السماء) طرحاً (حتى تقع في جسده) ثم قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٣١) فتعاد روحه في جسده، (قال: فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا

ولوا عنه). ويأتيه ملكان (شديدا الانتهار، فيتهرانه، و) يجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ (فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقول له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري)، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم) فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد! (فيقول) هاه هاه لا أدري (سمعت الناس يقولون ذاك! قال: فيقال: لا دريت)، (ولا تلوت)، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافشروا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه (وفي رواية: ويمثل له) رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، متن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول (وأنت فبشرك الله بالشر) من أنت؟ فوجهك الوجه يجيئ بالشر؟ فيقول: أنا عمك الخبيث؟ (فو الله ما علمت إلا كنت بطيئا عن طاعة الله، سريعا إلى مصية الله)، (فجزاك الله شرا، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضرب بها جبل كان ترابا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، يمهد من فرش النار). فيقول: رب لا تقم الساعة».

وأستغفر الله

الخطبة الثانية: القبر أول منازل الآخرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد، -أيها الناس-، إن عذاب القبر، ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة، فيجب علينا الإيمان بذلك.

قال شارح الطحاوية^(١): «قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا تتكلم في كفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا».

-أيها الناس-، ألا ما أفضع عذاب القبر!، فقد أخرج ابن ماجه بسن حسن، حسنه الألباني في «صحيح» سنن ابن ماجه^(٢) من حديث هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى، حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه» قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفضع منه».

-أيها الناس-، لقد فح الصحابة بالبكاء وهم خير القرون حين قام رسول الله ﷺ فيهم خطيبا مذكرا لهم بفتنة القبر:

ففي «صحيح البخاري»، و«سنن النسائي»^(٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: «قام رسول الله ﷺ خطيبا، فذكر فتنة القبر، التي يفتتن فيها

(١) «شرح الطحاوية» (ص ٤٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٤٢)، و«المشكاة» (٤٨/١).

(٣) رواه البخاري (١٣٧٣)، وسنن النسائي (٢٠٦٢).

المراء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة» وزاد النسائي: «حالت بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله ﷺ، فلما سكنت ضجتهم، قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله لك، ماذا قال رسول الله ﷺ آخر قوله؟ قال: «قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال».

أيها الناس، استعدوا بالهل من عذاب القبر، فإن النبي ﷺ كان يستعيز بالله من عذاب القبر دبر كل صلاة:

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر! فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر حق» قالت عائشة رضي الله عنها: «فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر».

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر.

اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل، والجبن، والهرم، والبخل، ونعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات.

(١) «صحيح البخاري» (١٣٧٢).

الخطبة الأولى: ب. القيامة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الإيمان بيوم القيامة من أصول الإيمان، فيوم القيامة هو اليوم الآخر، الذي لا يتم إيمان المرء المسلم إلا به ^(١).

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

(١) انظر «اليوم الآخر القيامة الكبرى» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر، فقد استفدت منه كثيرا.

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث جبريل الطويل، وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، بعد أن سأله عن الإسلام، قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

أيها الناس- إن الساعة آتية لا محالة، وذلك يوم ينفخ في الصور، فتنهى هذه النفخة الحياة في الأرض والسماء.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وهي -أيها الناس- نفخة هائلة مدمرة يسمعها المرء، فلا يستطيع أن يوصي بشيء، ولا يقدر على العودة إلى أهله.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [٤٩] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولتقوم الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقوم الساعة، وقد انصرف الرج لبلبن لقحته، فلا يطعمه، ولتقوم الساعة، وهو يليط حوضه، لا يسقي فيه، ولتقوم الساعة، وقد رفع أكلته إلى فيه، فلا يطعمها».

إن هذا الحديث -أيها الناس- ليبين لنا بجلاء سرعة هلا الناس، حين تقوم الساعة.

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٧١٢١)، واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٤).

والصور -أيها الناس- قرن ينفخ فيه، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ ففي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، وحسنه الألباني^(١) من حديث عبد الله بن عمرو **رضي الله عنه** قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: «الصور: قرن ينفخ فيه».

وقد أخبر الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما للنفخ فيه، من ذ أن خلقه الله ﷻ:

فقد أخرج الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح، ووافقه عليه الذهبي، والألباني في «الصحيحة»^(٢) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد، ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان».

وفي هذا الزمان -أيها الناس- أصبح إسرافيل أكثر استعدادا للنفخ في الصور.

فقد أخرج الترمذي في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة» لشواهده^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، حتى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ».

قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وتوكلنا على الله ربنا».

اليوم الذي تكون فيه النفخة -أيها الناس- هو يوم الجمعة:

- (١) رواه أحمد، والترمذي، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠): حسن صحيح.
- (٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٧).
- (٣) أخرجه الترمذي (٣١٦/٧٠/١)، وصححه الألباني لشواهده في «الصحيحة» (١٠٧٩).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة».

وفي كل يوم جمعة ت كون المخلوقات كلها خائفة مشفقة إلا الجن والإنس:

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»^(٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه هبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة (أي منتظرة قيام الساعة) يوم الجمعة، من حين تصبح، حتى تطلع الشمس شفقة من الاسعة إلا الجن والإنس».

والذي يظهر -أيها الناس- أن إسرافيل ينفخ في الصور مرتين: الأول يحمل بها الصعق، والثانية يحمل بها البعث:

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

وسمى الله تعالى النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجُفُّ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦]

وبعد النفخة الثانية يقوم الناس لرب العالمين:

(١) رواه مسلم (٨٥٤).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٩٢٤)، وقال الألباني في «المشكاة» (١٣٥٩): حسن صحيح.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا، ورفع لينا، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطرا، كأنه الطل أو الظل، (نعمان أحد رواة الحديث هو الشاك) فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون».

والإنسان -أيها الناس- يتكون من عظم صغير، عندما يصبه الماء ينمو نمو البقل، والعظم هو عجب الذنب، وهو عظم الصلب المستدير الذي في أمل العجز، وأمل الذنب.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

وفي لفظ مسلم: «إن في الإنسان عظما، لا تأكله الأرض أبدا، فيه يركب يوم القيامة» قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: «عجب الذنب».

وأول من يبعث وتشق عنه الأرض -أيها الناس- هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع».

ويحشر العباد -أيها الناس- حفاة عراة غرلا (أي: غير مختونين):

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٨).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا -أيها الناس-، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

قال ابن عثيمين رحمته الله: «وما يدخل في الإيمان باليوم الآخر البعث، فالله سبحانه وتعالى يبعث الأجساد يوم القيامة حفاة عراة غرلا.

حفاة: ليس عليهم نعال ولا خفاف (أي: ليس عليهم لباس رجل).

عراة: ليس عليهم لباس بدن. غرلا: أي غير مختونين.

وفي بعض الأحاديث: (بهما) أي: ليس معهم مال، بل كل واحد وعمله.

والبعث -أيها الناس- هنا إعادة، وليس تجديداً:

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

ولأنه لو كان خلقاً جديداً، لكان الجسد الذي يعمل السيئات في الدنيا سالماً من العذاب، ويؤتى بجسد جديد فيعذب، وهذا خلاف العدل، فالنص والعقل قد دلا على أن البعث ليس تجديداً، ولكنه إعادة.

ولكن يبقى النظر، كيف تكون إعادته، والإنسان ربما يموت، فتأكله السباع، ويتحول من اللحم إلى الدم في الحيوان الآكل، وروث، وما أشبه ذلك؟!!

فيقال: إن الله على كل شيء قدير، يقول للشيء: كن، فيكون، فيأمر الله هذه الأجساد، التي تفرقت، وأكلت، وطارت بها الرياح أن تعود فتعود^(١).

(١) رواه البخاري (٤٦٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

والأرض التي يحشر عليها الناس يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض:

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨)

[إبراهيم: ٤٨].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث سهل بن سعد **رضي الله عنه** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد».

ومعنى عفراء: أي خالصة البياض ومعنى النقي: أي الدقيق.

ومعنى المعلم: أي العلامة التي يهتدي بها إلى الطريق.

وأفادنا الرسول ﷺ أن الوقت الذي يتم منه هذا التبديل هو وقت مرور الناس على الصراط، أو قبل ذلك بقليل.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عائشة **رضي الله عنها** قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فأين يكون الناس يا رسول الله؟ قال: «على الصراط».

وفي «صحيح مسلم» أيضا^(١) من حديث ثوبان أن حبرا من أحبار اليهود سأل رسول الله ﷺ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر». والمراد بالجسر: الصراط.

(١) «دروس وفتاوى في الحرم المكي» لابن عثيمين (ص ٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٩١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: أهوال يوم القيامة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث حول النفخ في الصور، والبعث والنشور، والآن حديثي معكم عن بعض أهوال يوم القيامة.

-أيها الناس-، يوم القيامة يوم عظيم أمره، شديد هولته، لا يلاقي العباد مثله، فالمرضة تذهب عن وليدها، والحامل تضع حملها، وحال الناس كحال السكارى الذي فقدوا عقولهم.

قال الله ﷻ: ﴿بَيَّأَهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١٠٢]

وأخبرنا الله ﷻ أن أرضنا الثابتة، وما عليها من جبال صم راسيات تحمل يوم القيامة، عندما ينفخ في الصور، فتدك دكة واحدة.

قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٥، ١٣]

وقال الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: ٢١].

وعند ذلك -أيها الناس- تتحول هذه الجبال الصلبة القاسية إلى رمل ناعم، كما قال

الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ٤٤]

وفي يوم القيامة تزال الجبال من مواضعها، وتسوء الأرض، حتى لا يكون موضع مرتفع، ولا منخفض:

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]

ومعنى بارزة: أي ظاهرة، لا ارتفاع فيها، ولا انخفاض.

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾

لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٧]

وأما البحار -أيها الناس- فإنها تفجر في ذلك اليوم فإذا فجرت تسجر، وتشتعل نارا:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [التكوير: ٦].

وأما السماء الجميلة -أيها الناس- فإنها تنفطر وتتشقق، وتمور مورانا -ليس من مصادر الفعل خطأ (مار) مورا طبقا للآية:

قال الله ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١]

وقال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطور: ٩]

وأما الشمس -أيها الناس- فإنها تجمع وتكور، ويذهب فوءها:

قال الله ﷻ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير: ١]

وأما القمر فإنه يخسف، ويذهب فوءه:

قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ [القيامة: ٧]

وأما النجوم فإن عقدها ينفرب، ففتناثر وتكدر:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْكُوكَبُ أَنْتَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ٢].

-أيها الناس - ذلك بعض مما جاء في وصف القيامة.

ومما قيل في وصف ذلك اليوم العظيم من الشعر:

- | | | |
|--------------------------------|-----|---------------------------|
| مثل لنفسك أيها المغرور | ❀❀❀ | يوم القيامة، والسماء تمور |
| إذ كورت شمس النهار وأذيت | ❀❀❀ | حتى على رأس العباد تسير |
| وإذا النجوم تساقطت وتناثرت | ❀❀❀ | وتبدلت بعد الضياء كدور |
| وإذا البحار تفجرت من خوفها | ❀❀❀ | ورأيتهما مثل الجحيم تفور |
| وإذا الجبال تقلعت بأصولها | ❀❀❀ | فرأيتهما مثل السحاب تسير |
| وإذا العشار تعطلت وتخربت | ❀❀❀ | خلت الديار، فما بها معمور |
| وإذا والوحوش لدى القيامة أحشرت | ❀❀❀ | وتقول للأملاك: أين نسير |
| وإذا تقاة المسلمين تزوجت | ❀❀❀ | من حور عين، زانهن شعور |
| وإذا الموءودة سئلت عن شأنها | ❀❀❀ | وبأي ذنب قتلها ميسور |
| وإذا الجليل طوى السماء بيمينه | ❀❀❀ | طي السجل كتابه المنشور |
| وإذا الصحائف نشرت، فتطايرت | ❀❀❀ | وتهكت للمؤمنين ستور |
| وإذا السماء تكشطت عن أهلها | ❀❀❀ | ورأيت أفلاك السماء تدور |
| وإذا الجحيم تسعرت نيرانها | ❀❀❀ | فلها على أهل الذنوب زفير |

وإذا الجنان تزخرفت وتطبيت ❀❀❀ لفتى على طول البلاء صبور
 وإذا الجنين بأمه متعلق ❀❀❀ يخشى القصاص، وقلبه مذعور
 هذا بلا ذنب يخاف جنيه ❀❀❀ كيف المصر على الذنوب دهور؟!

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا،
 وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت
 راحة لنا من كل شر.

الخطبة الأولى: جد حال العصاة يوم القيامة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صل الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن حال عصاة المؤمنين يوم القيامة،

وقبل الحديث أنبه إلى ما قرره أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنوب يرتكبه،

إلا من جاء تكفيره بالكتاب والسنة، وقامت عليه الحجة، وانتفت في حقه عوارض الإكراه، أو الجهل، أو التأويل، مما يسوغ فيه ذلك، كما أنه لا يجوز الشك في كفر من حكم الله تعالى، أو رسوله صل الله عليه وسلم بكفره من المشركين، واليهود، والنصارى، وغيرهم.

ومن هنا يعلم -أيها الناس- أن أهل التوحيد الذين لم يشركوا بالله شيئاً، لم يأتوا بناقض من نواقض الإسلام، ولكن اقترفوا ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي هم بذلك تحت مشيئة الله: إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]

-أيها الناس-، إن من الناس من قارف ذنوبا، توقعه في أهوال ومشقات يوم القيامة، لكنها لم توجب لهم الخلود في النار، إن دخلوها.

-أيها الناس-، لقد دلت نصوص الكتاب والسنة أن عاصمة المؤمنين الذي لم يتوبوا من تلك المعاصي مدرتهم البلاء في ذلك اليوم العظيم، فمن ذلك^(١).

حال المتكاسل عن الصلاة والمتهاون بها:

-أيها الناس-، ليس مقصودنا الحديث عن تارك الصلاة، وفذلك قد كفره جمع من أهل العلم وهو الصحيح.

لما في «سنن الترمذي، والنسائي» بسند صحيح^(٢) من حديث بريدة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

ولما في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

وإنما حديثنا معكم -أيها الناس- عن حال المتهاون بالصلاة بتأخيرها عن وقتها، أو النوم عنها، أو التقصير في أدائها على الوجه المأمور به، فذلك متوعد بالعقاب؛

(١) انظر «من أحوال الناس بعد الموت» للشايع (ص ٢٧، ٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٨٢).

لما في «صحيح البخاري»^(١) م حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث المنام الطويل، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «وإننا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه (أي يشدخه ويشقه)، فيتهدهد (أي يتدحرج) الحجر هاهنا، فيتبع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه، حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثلما فعل به المرة الأولى».

وجاء في تفسيره أنه: «الرجل يأخذ القرآن، فيفرضه، وينام عن الصلاة المكتوبة»

وأما حال مانع الزكاة:

فإنه يعذب بما له يوم القيامة، فإن كان ماله من الذهب والفضة؛ جعل صفائح من نار، ثم عذب به صاحبه، وإن كان المال حيوانا، أرسل على صاحبه، فعذب به.

قال الله سبحان الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤]

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع (أي: الحية الذكر المتساقط شعر رأسه لكثرة سمه)، له زبيبتان (أي نقطتان سوداوان فوق عينيه)، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزميه -يعني شذقيه-، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا:

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٣).

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ أُتُوا مِنَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٨٠]

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه، وجبينه، وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله، فالإبل؟

قال: «ولا أصحاب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر (أي: بسط لها بصحراء مستوية) أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا (والفصيل: ولد الناقة، إذا فصل عن أمه)، تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها، رد عليه أخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟

قال: «ولا أصحاب بقر، ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، لا يفقد منها شيئا، ليس فيها عقضاء (أي: ملتوية القرنين)، ولا جلداء (أي التي لا قرن لها)، ولا عضباء (أي مكسورة القرن)، تنطحه بقرونها».

(١) تقديم تخرجه.

وتطوره بأظلافها، كلما مر عليه أولاهها، رد عليه أخراها، في ويم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إل الجنة، وإما إلى النار».

وأما حال أكلة الربا:

فقد وصف الله ﷻ حالهم بأنهم يبعثون يوم القيامة في حال منكرة:

فقال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

أي: إنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخطب الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياما منكرا.

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث المنام الطويل، وفيه قوله سكنى الله عليه: «فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل، قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه، فيلقمه حجرا، فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه، فغر له فاه، فألقمه حجرا». وذكر في تفسيره أنه: «أكل الربا».

قال ابن هبيرة رضي الله عنه كما في «فتح الباري»^(٢) «إنما عوقب أكل الربا بسباحته في النهر الأحمر، وإلقامه الحجارة؛ لأن أصل الربا يجري في الذهب، والذهب أحمر، وأما إلقام

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/٤٤٥).

الملك له الحجر، فإنه إشارة إلى أنه لا يغني عنه شيئاً، وكذلك الربا، فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد، والله من ورائه يمحقه».

وأما حال الزناة والزواني: فحالهم أشنع:

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث المنام الطويل، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «فأتينا على مثل التنور (وفي رواية له: أعلاه ضيق، وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً) قال: وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط وأصوات فاطلنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم هب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا (أي: صاحوا)...» وجاء في تفسيره أنهم «الزناة والزواني».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله كما في «الفتح»^(٢): «مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنائتهم من أعضائهم السفلى».

ومما جاء في حال المغتابين، والنمامين:

ما أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون (أي: يجرحون) وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟»

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) «فتح الباري» (١٢/٤٤٣).

(٣) رواه أحمد (٢٢٤/٣)، وأبو داود (٤٨٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢١٣).

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم».

ومما جاء في حال الكذاب يوم القيامة:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»^(١) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث المنام الطويل، قال: «فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد (أي: حديدة معوجة الرأس)، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه، فيشرشر (أي: يقطع) شدقه (أي: زاوية فمه) إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثلما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثلما فعل المرة الأولى». وجاء في تفسيره أنه: «الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة، تبلغ الآفاق».

ومما جاء في حال من يتجسس على الناس، ويستمع إليهم، وهم له كارهون:

ما أخرجه البخاري في «صحيحه»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه صب في أذنيه الآنك (أي: الرصاص المذاب) يوم القيامة».

ومما جاء في حال المصومين يوم القيامة:

ما في «الصحيحين»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الذي يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٢).

(٣) رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (١٦٦٨/٣).

وفي «الصحيحين» أيضا^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون». وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: حال العصاة يوم القيامة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، تقدم الحديث عن بعض أحوال عصاة المؤمنين يوم القيامة، وفيما يأتي ذكر بعض أحوالهم، فمن ذلك:

حال من يسأل الناس وعنده ما يغنيه:

ففي «سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي» بسند صحيح، صححه الألباني^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سأل -وله ما يغنيه- جاءت مسأله يوم القيامة خدوشا -أو خموشا، أو كدوحا- في وجهه». قيل: يا رسول الله، ما يغنيه؟. قال: «خمسون درهما، أو قيمتها من الذهب».

ومما جاء في حال المتكبرين:

أخرج الترمذي في «سننه» بسند صحيح، صححه الألباني في «المشكاة»^(٣) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر المتكبرون

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٢) رواه أبو داود (١٦٢٦) والترمذي (٦٥٠) والنسائي (٩٧/٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وصححه الألباني في «المشكاة» (٥١١٢).

أمثال الذر يوم القيامة، في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم، يسمى بولس، تعلقهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال».

والذر - أيها الناس - : هي صغار النمل التي لا يعباؤها أحد، فتوطأ من غير شعور.

ومما جاء في حال الحاكم أو المسئول الذي يحتجب عن الرعية:

وما أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة - احتجب الله عنه يوم القيامة».

ومما جاء في حال من يتناول المسكرات: كالخمر وغيره:

ما أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل مسكر حرام، إن على الله عجزك عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار أو عصارة أهل النار».

ومما جاء في حال الذين يغتصبون حقوق الناس من أرض، أو غيرها:

ما جاء في «الصحيحين»^(٣) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول: «من ظلم من الأرض شيئاً، طوقه من سبع أرضين».

(١) رواه أحمد (٢٣٨/٥)، وانظر «الصحيحة» (٢٠٦/٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠).

وأخرج البخاري^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه، خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

ومما جاء في حال المنتحر (قاتل نفسه):

ما في «الصحيحين»^(٢) م حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تردى (أي: ألقى بنفسه) من جبل، فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سما (أي: يشربه ويتجرعه في تمهل)، فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدة في يده، يحأ بها في بطنه (أي: يطعن) في نار جهنم خالداً فيها أبداً».

وروى البخاري في «صحيحه»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذي يخنق نفسه، يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار».

تلك بعض أحوال عصاة المؤمنين يوم القيامة.

وهناك أناس لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم. فمن هؤلاء: الذي ينقضون ما عاهدوا الله عليه، ويشترون بأيمانهم ثمناً قليلاً، فيطوفون الأيمان الكاذبة لمصلحة عاجلة:

قال الله سبحان الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

[آل عمران: ٧٧].

(١) رواه البخاري (٢٤٥٤).

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

(٣) رواه البخاري (١٣٦٥).

ومن هؤلاء: المسبل إزاره: أي الذي يطيل ملابسه، سواء كانت إزارا، أو بنطلونا، أو ما أشبه ذلك، ويجعلها تجاوز كعبه نحو الأرض.

والمنان، والذي لحن كذبا: ليجمع لسلته أو ما يبيعه رواجا وقبولاً.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي ذر **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله **ﷺ** ثلاث مرار.

قال أبو ذر: خابوا وخسروا!، من هم يا رسول الله؟ قال: «المسب، والمنان، والمنفق سلته بالحلف الكاذب».

ومن هؤلاء: العاق لوالديه، والمرأة التي تقلد الرجال، وتشبه بهم في لباس كالبنطلون الذي هو من خصائص الرجال، أو غيره أو هيئة، والديوث: هو الذي لا غيره له على أهله، أو يرى الخبث فيهم ويقره.

ففي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن النسائي» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحية»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجحة المشبهة بالرجال، والديوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالدين، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى».

-أيها الناس-، تلك بعض أحوال عصاة المؤمنين يوم القيامة، فعلينا بالابتعاد عن كل ما يكون سببا لذلتنا وهواننا، وأن نتوب إلى الله توبة صادقة من كل ما يغضب الله.

(١)

(٢)

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الخطبة الأولى: د. وصف الجنة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن صوف الجنة، بل عن شيء من وصف الجنة، فالجنة -أيها الناس- فوق ما يخاطر بالبال، أو يدور في الخيال، وإن موضع سوط منها هو خير من الدنيا وما فيها.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب».

والقاب: قدر ما بين المقبض والسية من القوس.

(١) رواه البخاري (٦/٣٢٠)، ومسلم (١٣/٢٦).

عباد الله، يقول ربنا جل في علاه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

عباد الله مهما قلنا في جنة النعيم، ودار المتقين، والفوز العظيم فلا يزال وصفنا لها قاصرا، فحسبنا وصف الله لها؛ فهو الذي خلقها بيده، وجعلها مقرا لأحبابه، وطهرها من كل عيب، وضرب بنعيمها المثل، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرَ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

عباد الله، هل أتاكم خبر أبواب الجنة، ودرجاتها، وأبنتها، وطعام أهلها وشرابهم، وما فيها من النعيم المقيم، وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم صلى الله عليه وسلم؟!

عباد الله، إن للجنة ثمانية أبواب، كما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون».

(١) رواه البخاري (٣١٨/٦)، ومسلم (١٦٦/١٧).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠/٦)، ومسلم (٢٦/١٣).

وفي «الصحيحين»^(١) أيضا من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله، دعي من أبواب الجنة كلها، وللجنة ثمانية أبواب: فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الصيام، دعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد». فقال أبو بكر رضي الله عنه: «والله، ما على أحد من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعى أحد منها كلها؟» قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

عباد الله، إن للجنة درجات، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، قال الله

تَبَّحُّرًا لِلَّهِ: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥)﴾ [طه: ٧٥]

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فاسأله الفردس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة -أراه قال:- وفوقه عشر الرحمن، ومنه تفجر أنها راجنة»

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري **رضي الله عنه** أن رسول الله **ﷺ** قال: «إن أهل الجنة ليرأون أهل الغرف من فوقهم، كما تراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق -أي الذهاب في السماء- من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم».

(١) رواه البخاري (٦/٣٥١)، ومسلم (١٠٢٧).

(٢) رواه البخاري (٦/٣٥١).

(٣) رواه البخاري في «الفتح» (٧/١٣٧)، ومسلم (٢٨٣١).

والجنة عباد الله مبنية بناء حقيقة:

فلا يتوهم متوهم أن ذلك تمثيل، وأنه ليس هناك بناء.

قال الله س: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ آتَفَوْا رِزْقَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ

لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾ [الزُّمَر: ٢٠].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلا،

للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك

فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا

نصب».

والمقصود ها هنا قصب اللؤلؤ المجوف، كما قال بعض أهل العلم.

والمراد بالصخب: الصوت المختلط المرتفع.

والمراد بالنصب: الشقة والتعب.

(١) رواه البخاري (٣١٨/٦)، ومسلم (١٧٥/١٧).

(٢) رواه البخاري (١٣٣/٧)، ومسلم (١٩٩/١٥).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** قال: «أدخلت الجنة، فإذا أنا بصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش. فظننت أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب».

عباد الله، إن النفوس لتحب أن تعرف طعام أهل الجنة، فطعامهم من كل ما لذ وطاب، ألا إنه كما قال ابن عباس **رضي الله عنهما**: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، فليس العسل كالعسل، وليس الخمر كالخمر، وليس العنب كالعنب».

قال الله **سبحانه**: ﴿وَفِكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ ٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ ٢١﴾ [الواقعة: ٢٠]

وقال الله **سبحانه**: ﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ ٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ ٣٣﴾ [الواقعة: ٣٢]

أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها.

وقال الله **سبحانه**: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُطُوفُهَا نَذِيلًا ۝ ١٤﴾ [الإنسان: ١٤].

قال ابن عباس **رضي الله عنهما**: «إذا هم أن يتناول من ثمرها، تدلت له، حتى يتناول ما يريد».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**: «يأكل أهل الجنة فيها، ويشربون، ولا يتغوطون ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء - أي: يخرج منهم بالتجشي - كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير، كما يلهمون النفس».

(١) رواه البخاري (٣١٨/٦)، ومسلم (١٦٣/١٥).

(٢) مسلم (٢٨٣٥).

ذلك طعام أهل الجنة:

وأما شرابهم فكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا

﴿٥﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ [الإنسان: ٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَيْنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا وَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

[الإنسان: ١٥]

وقال الله ﷻ: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ

ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ

الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ [الزُّخْرَف: ٦٨-٧٢]

عباد الله، ذلك طعامهم وشرابهم.

فماذا عن ثيابهم؟

يقول ربنا ﷻ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٢﴾﴾ [قاطر: ٣٣]

وقال الله ﷻ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَابِكِ وَالْعَشِيِّ [الكهف: ٣١]

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أهدي لرسول الله

ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه!، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه: «تعجبون من

هذا؟! لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا».

فانظر يا عبد الله المناديل الذي يمسح به يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك!

(١) البخاري (٣١٩/٦).

-أيها الناس-، ذلك بعض نعيم الجنة،

أهل الجنة بين أمانف هذه النعم ٱترددون، وهم من زوالها أمنون:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم أن نصحوا، فلاتسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا، فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا، فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا، فلا تبأسوا أبدا، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

وفي «صحيح مسلم»^(٢) أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يدخل الجنة ينعم، ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».

ذلك بعض نعيمهم، لكن ماذا عن مفة أهل الجنة:

روى الترمذي في «سننه»^(٣) بسند حسنه الألباني من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرذا مردا، كأنهم مكحولون، أبناء ثلاث وثلاثين»

ومعنى «جردا»: أي بدون شعر على أجسادهم. ومعنى «مردا»: بدون لحى.

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البر، والذين يلونهم على صورة أشد كوكب

(١) مسلم (١٧/١٧٥).

(٢) مسلم (٣/١٤٠).

(٣) الترمذي (١٠/١٤) في صفة الجنة.

(٤) البخاري (٦/٣١٩)، ومسلم (١٧/١٧٢).

دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة (أي: عود الطيب)، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء».

وصف الرسول ﷺ أخلاقهم:

بقوله كما في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا»

وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ

﴿٤٧﴾ [الحجر: ٤٧].

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية: وصف الحور العين

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق أن تحدثنا معكم عن شيء من وصف الجنة، نعم، نعم، شيء من وصف الجنة، فلو خطبنا في وصف الجنة السنة بعد السنة، ما استطعنا أن نصفها لكم، وحديثي معكم الآن عن شيء من وصف الحور العين.

قال الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [الدخان: ٥٤].

(١) البخاري (٦/١٣٨)، ومسلم (١٧/١٧٣).

والحور: جمع حوراء، وهي المرأة بينة الحور، والحور: شدة بياض العين في شدة سوادها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض الجلد ورقته، فيحار فيها الطرف.

والعين جمع عيناء، وهي الصخمة العين من النساء مع حسن وملاحة.

وقال الله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الظَّرْفِ عَيْنٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات: ٤٨]

قال مجاهد رحمته الله: «قصرن أبصارهن، وقلوبهن، وأنفسهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم»^(١)

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

قال مجاهد رحمته الله في معنى «مطهرة»: «أي: لا يبلن، ولا يتغوطن، ولا يمدن، ولا يمنين، ولا يحضن، ولا يبصقن، ولا يتنخمن، ولا يلدن»^(٢).

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لروحة فس سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحا، ولنصيفها - يعني خمارها - على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

(١) (حادي الأرواح) (ص ٢٨٧).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٨٤).

(٣) البخاري (٢/١٣٦)، ومسلم (١٥٠٠).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب».

عباد الله، تلك بعض صفات أه لاجنة، لكن هناك في الجنة ما هو أعظم من ذلك، إنها لذة النظر إلى وجه الله الكريم، فما أعطي أهل الجنة شيئاً أعظم منه.

قال الله سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة: ٢٣]

وقال الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]

وهذه الزيادة: هي النظر إلى وجه الله سبحانه، والحسنى: هي الجنة،

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ يَرَهُ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، يريد أن ينجزكموه. قالوا: ما هذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟! قال: فيرفع الحجاب، وينظرون إلى وجه الله سبحانه، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه».

وهذا عباد الله نهاية النعمة وغاية الحسنى، وتلك النعم كلها عند هذه النعمة أي عند نعمة النظر إلى وجه ربنا سبحانه: تنسى؛ فلذة النظر إلى وجه ربنا فوق كل لذة.

(١) البخاري (٣٢٤٦)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) مسلم (١٧/٣).

عبد الله، تلك بعض صفات الجنة، وهي لا تنال بالتشهي والأمر، ولكن بالجد والعمل، فاتقوا الله عباد الله فإنكم إليه راجعون.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

الخطبة الأولى: هـ وصف النار

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، إن علاج ضعف الإيمان يتضمن التذكير بالجنة والنار، فإن النفوس قد تصلح بالتبشير والتحذير.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيتم لضحكتكم قليلا، ولبكيتم كثيرا» قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟! قال: «رأيت الجنة والنار».

(١) رواه مسلم (٤/١٥٠).

وقد أنذر الله ﷻ بالنار، وأمر المؤمنين بأخذ الوقاية من التعرض لها، وبين خطرها، فقال ﷻ: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكَبِيرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ [المؤثر: ٣٢-٣٧]

وقال الحسن البصري رحمه الله في تفسير هذه الآيات: «والله، ما أنذر العباد بشيء أدهى منها».

وقال الله ﷻ: ﴿فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظَى (١٤)﴾ [البقرة: ١٤].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار» قال: وأشاح، ثم قال: «اتقوا النار». ثم أعرض وأشاح ثلاثاً، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة».

-أيها الناس-، النار مورد الناس كلهم أجمعين، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾ [مريم: ٧١].

عباد الله، نحن من الورود على يقين، ومن النجاة في شك، فلا استعدادنا للنجاة، كما كان سلفنا الصالح في غاية الخوف والإشفاق والحذر من الله ﷻ، وعظيم عقابه، وأليم عذابه؟!

عباد الله، هل أتاكم خبر عن عذاب الله لمن عصاه؟!، هل أتاكم خبر نار الله الموقدة؟!، هل أتاكم خبر عمق جهنم وشدة حرها?!.

(١) رواه البخاري (١١/٤٠٠)، ومسلم (١٠١٦).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة أي: صوت سقطه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، أي: عاماً فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها، فسمعتم وجبتها».

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»^(٢) من حديث عتبة بن غزوان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصخرة العظيمة لتلقى في شفير جهنم أي طرفها، فتهوي فيها سبعين عاماً، ما تفضي إلى قرارها».

عباد الله، قد يتخيل لأحدنا أن نار الله الموقدة كئار الدنيا، كلا.

فما نار الدنيا إلا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم:

كما في «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية! قال: «فضلت عليهن بتسعة ستين جزءاً، كلهن مثل حرها»

ولجهنم سبعة أبواب، كما قال ربنا سبحان الله:

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤]

قال بعض أهل العلم: «سبعة أبواب» أولها جهنم، ثم لظى، ثم الخطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤).

(٢) «مسند أحمد» (١٧٤/٤)، والترمذي (٤٥/١٠).

(٣) رواه البخاري مع الفتح (١٤٣/٧)، ومسلم (٢١٨٤).

عباد الله، تلك أبواب النار.

لكن كيف طعامهم، وشرابهم، وما لبسهم؟

أما طعامهم عباد الله فكما قال ربنا ﷺ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ۖ﴾ [٦] لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي

مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ [الغاشية: ٦]

والضريح: نبت ذو شوك، لا تأكله الدواب لخبائثه، وهو سم قاتل.

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢]

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: «وطعاما ذا غصة». قال: «شوك يأخذ بالحلقي، ولا يدخل، ولا يخرج».

وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَتَاهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ

﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ أَلِيمٍ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١-٥٦].

وقد صوف الله ﷻ شجرة الزقوم، فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾

طَلَعَهَا كَأَنَّهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَالُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِمَّنْ

حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٤].

والشوب: هو الخلط والمزج، أي: يخلط الزقوم التناهي في القذاراة والمرارة والحميم

المتناهي في اللهب والحرارة.

وفي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي»، و«ابن ماجه»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟!»

أرأيتم عباد الله كيف أن قطرة واحدة من الزقوم تفسد على أهل الأرض معاشهم؟! والرسول صلى الله عليه وسلم يأتي بالاستفهام؛ لنقل عنه، فيقول: «كيف بمن يكون طعامه؟!»، فه لمن معتبر؟!

وقال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦].

قال ابن عباس رضي الله عنها: «الغسلين: الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحمهم»

عباد الله، عرفنا شيئاً من طعام أهل النار،

وسوف نذكر بعض شراهم أعانا الله وإياكم من ذلك!

قال الله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [ابراهيم: ١٦-١٧].

(١) رواه أحمد (٣٠١/١، ٣٣٨)، والترمذي (٥٤/١٠)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٢٦).

أي يسقى من ماء صديد شديد التتانة والكثافة، فيتكربه ولا يكاد يتلعه من شدة تنانته وكثافته، ويستشعر الموت من كل مكان وهيئات، فإنه لو مات لاستراح من العذاب، وما هو بميت، فكلما نضج جلده أبدله الله غيره؛ ليذوق العذاب.

وقال الله ﷻ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]

والحميم: هو الماء الحار المغلي بناء جهنم، يذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتسيل به أمعأؤهم، وتتناثر جلودهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [٢٠] ﴿وَهُمْ مَقْلَعُونَ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [٣١] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٠-٢٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

عباد الله، بعد أن عرفنا طعام أهل النار وشرابهم،

تعالوا بنا نقف على ملابسهم:

قال الله ﷻ: ﴿وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [٤٩] ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩-٥٠]

فقوله تعالى: «سراويلهم من قطران» أي: قمصانهم من قطران، تطلّى به جلودهم، حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل، وخص القطران لشرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته، ووحشة لونه، والقطران: قيل فيه: ما يطلّى به الجمل الأجرّب.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الناحئة إذا لم تب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب».

وقال الله ﷻ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ

[الحج: ١٩].

فقوله: «قطعت» أي: قدرت لهم على قدر جثثهم؛ لأن الثياب تقطع على قدر من يلبسها. وقيل إنها من نحاس قد أذيب، فصار كالنار. والحق إجراء الآية على ظاهرها.

تلك عباد الله ملابسهم، ولكن ماذا عن فراشهم عيادا بالله من حالهم؟!

قال الله ﷻ: ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]

أي فراش من النار، ويلتحفون بألحفة من النار.

وقال الله ﷻ: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]

انظر يا عبد الله كيف أطلق القرآن الكريم الظلل عليهم تهكما؟! والإفهي محرقة، والظلة تقي من النار،

كما قال ربنا ﷻ: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾ [٣١]

[المرسلات: ٣٠-٣١]

عبد الله، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه راجعون، واتقوا النار دار الذل والهوان.

(١) رواه مسلم (٦/٢٣٥).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: وصف النار

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، -أيها الناس-، إن الحديث عن النار يطول ويطول، وما سبق أن ذكرته لكم إنما هو رءوس أقلام، وكما تقول العامة: «قطرة من مطرة».

عباد الله، **كيف بنا لو عرفنا عظم أهل النار وبشاعة منظرهم؟!**

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع».

والمنكب: هو مجمع عظم العضد والكتف.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ضرس الكافر -أي: نابه -مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث».

وروى الترمذي في «سننه»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة».

(١) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (١٧/١٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥١).

(٣) رواه الترمذي (٢٧١٩)، وحسن إسناده الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٦٧٥).

-أيها الناس-، إن أهل النار لا يموتون؛ إذ لو ماتوا لاستراحوا من العذاب.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
 «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (أي: أسود يعلو شعره بياض) فيذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة، خلود بلا موت، ويا أهل النار، خلود بلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم».

-أيها الناس-، تلك بعض صفات النار.

فاتقوا النار، فإنها أقرب إلى أحدنا من شراك نعله:

كما في «صحيح البخاري»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». والشراك: هو سير النعل.

-أيها الناس-، اتقوا النار، واتقوا الأسباب الموصلة إلى النار، فإنها والعياذ بالله!

كثيرة جدا، وجامعها معصية الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا

وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٤].

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٨).

عباد الله، لا بد أن نقي أنفسنا وأهلنا من النار، كما أمر الله ﷻ فقال ﷻ من قائل:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: «أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه فـ «قوا أنفسكم وأهليكم نار» موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله، ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات، والأولاد، وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه، ووصف الله النار بهذه الأوصاف؛ ليزجر عباده عن التهاون بأمره»^(١)

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وما يقرب إليها من قول أو عمل.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٨٧٤).

الخطبة الأولى: ٦- الإيمان بالقضاء والقدر

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠]

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن الإيمان بالقدر، قطب حرى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين القويم وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساسه الإحسان^(١).

وقد دل على هذا الكرن العظيم من أركان الإيمان الكتاب، والسنة، والإجماع:

أما أدلة القرآن فهي كثيرة جداً، منها:

قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]

(١) انظر «شفاء العليل» لابن القيم، و«الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت من هذين الكتابين، وأكثرت من النقل عنهما في هذه الخطبة.

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] [القمر: ٤٩]

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [٢١] [الحجر: ٢١]

وقال الله ﷻ: ﴿إِنِّي قَدَرٌ مَّعْلُومٌ﴾ [٢٢] ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [٢٣] [المرسلات: ٢٢-٢٣]

وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِيٰ﴾ [٤٠] [طه: ٤٠]

وقال الله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [٢] [الفرقان: ٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [٣] [الأعلى: ٣]

وقال الله ﷻ: ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [٤٢] [الأنفال: ٤٢]

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلِنَعْلَمَنَّ عُلُوًّا

كَبِيرًا﴾ [٤] [الإسراء: ٤]

-أيها الناس-، تلك بعض الأدلة من كتاب الله ﷻ على القدر.

وأما من السنة:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيثار، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، وتؤمن بالقرآن خيره وشره» فقال أي: جبريل: «صدقت».

(١) تقدم تخريجه.

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(١) عن طاوس قال: «أدرکت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر». قال: «وسمعت عبد الله بن عمر يقول: كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس - أو الكيس والعجز».

وأخرج الإمام مسلم^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش، يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [٤٨] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] [القمر: ٤٨].

وأخرج الإمام مسلم^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح، صححه الألباني في حاشية «مشكاة المصابيح»^(٤) من حديث الوليد ابن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت، رضي الله عنه قال: «دخلت على عبادة، وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني، واجتهد لي».

فقال: أجلسوني. فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) رواه أحمد (٣١٧/٥)، و صححه الألباني في «حاشية مشكاة المصابيح» (١/٣٤).

قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟

قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له:

اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

يا بني، إن متّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار».

وأخرج البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

«كل شيء بقدر، حتى وضعك يدك على خدك».

-أيها الناس-، لقد أجمع المسلمون علم وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله:

قال النووي رحمته الله: «وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب، والسنة، وإجماع

الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى»^(٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما «القدر نظام التوحيد؛ فمن وحد الله، وآمن بالقدر، تم

توحيده، ومن وحد الله، وكذب بالقدر، نقض توحيده»^(٣).

وقال الحسن البصري رحمته الله: «إن الله خلق خلقاً، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال

بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر»^(٤)

(١) «خلق أفعال العباد» (ص ٢٦).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١/١٥٥).

(٣) أخرجه الأجرى في «الشريعة» (ص ٢١٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل

السنة والجماعة» (٤/٦٨١).

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لللالكائي (٤/٦٨٢).

وقال أيضا: «من كذب بالقدر، فقد كذب بالإسلام»^(١)

وقال في مرضه الذي مات فيه: «إن الله قدر أجلا، وقدر معه مرضا، وقدر معه معافاة، فم كذب بالقدر، فقد كذب بالقرآن، ومن كذب بالقرآن، فقد كذب بالحق»^(٢)

-أيها الناس-، الإيمان بالقدر أمر معلوم بالفطرة قديما وحديثا، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره عند المشركين من الأمم، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا

قال الله ﷻ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا﴾ [الأنعام: ٤٨]

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بين الله ﷻ أن هذا هو

شأن من كان قبلهم، فقال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ٤٨]

-أيها الناس-، الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان، من أقر بها جميعا، فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملا، ومن انتقص واحدا، فقد اختل إيمانه، وهذه الأركان الأربعة هي:

١- العلم. ٢- الكتابة.

٣- المشيئة. ٤- الخلق.

وفيما يأتي شرح ذلك:

أولا: العلم:

والعلم -أيها الناس-: هو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن ولكان كيف يكون، ويعلم الموجود، والمعدوم، والممكن والمستحيل، وهو

(١) المرجع السابق (٤/٦٨٢).

(٢) المرجع السابق (٤/٦٨٢).

ﷺ عالم بالعباد، وآجالهم، وأرزاقهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم، ويخلق السموات والأرض.

وهذا مقتضى اتصافه ﷺ بالعلم، ومقتضى كونه ﷺ هو العليم الخبير السميع البصير.

قال الله ﷻ: ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢]. [الطلاق: ١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [٣]. [سبأ: ٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [٥٩]. [الأنعام: ٥٩].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أبناء المشركين، فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين».

أي الله أعلم بمن يؤمن منهم ومن يكفر، لو بلغوا وعاشوا.

(١) رواه البخاري (١٣٨٣)، ومسلم (٢٦٦٠).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة؛ لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أو غير ذلك، يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».

ثانياً: الكتابة:

والكتاب -أيها الناس- هي الركن الثاني من أركان القدر، وهي: الإيمان أن الله، سبحان الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ. قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «وقد أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين»^(٢).

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة م الكتاب والسنة: فمنها:

قال الله سبحان الله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال الله سبحان الله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال الله سبحان الله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢).

(٢) «شفاء العليل» (ص ٨٩).

وقال الله ﷻ حاكيا دعاء موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا نَاهِدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

وقال الله ﷻ عن محاجة موسى عليه السلام لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥١] قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعشره على الماء».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس منفسوة إلا وقد كت الله مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية، أو سعيدة». وأستغفر الله.

الخطبة الثاني

الإيمان بالقضاء والقدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعليآله وصحبه أجمعين.

أما بعد، -أيها الناس-، سبق الحديث معكم عن القدر، وذكرت ركنين من أركانه، هما: العلم، والكتابة، والآن حديثي معكم عن باقي الأركان، وهما: المشيئة، والخلق.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

والمشيئة: - أيها الناس - هي الركن الثالث من أركان القدرن وبقضي هذا الكرن الإيمان بشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته سُبْحَانَ اللَّهِ.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه المرتبة (أي: الركن) قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقل والبيان»^(١).

والأدلة على هذا الركن من الكتاب والسنة كثيرة جدا، فمنها:

قال الله سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٨] [القصاص: ٦٨].

وقال الله سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٣٠] [الإنسان: ٣٠].

وقال الله سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [٢٣] [الكهف: ٢٣].

وقال الله سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيَوْمِهِمْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [١١١] [الأنعام: ١١١].

وقال الله سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٣٩] [الأنعام: ٣٩].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء».

(١) «شفاء العليل» (ص ٩٢).

-أيها الناس-، إن مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ لا يكون لعدم مشيئته له، ولا لعدم قدرته عليه.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

فعدم اقتناهم ليس لعدم قدرة الله، ولكن لعدم مشيئته ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: ٣٥]

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: ١٠٧]

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]

-أيها الناس-، ذلك ما تيسر الوقوف عليه، وفيما يأتي ذكر الركن الرابع والأخير من أركان القدر، وهو الخلق:

وهذا الكرن يقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقات لله بذواتها، وصفاتها وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق موجد من العدم، كائن بعد أن لم يكن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه المرتبة (أي الركن) دلت عليها الكتب المساوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام، واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة».

والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصر، منها:

قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (٢) [الأنعام: ١].

وقال الله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وقال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣) [الأنبياء: ٣٣].

وقال الله ﷻ: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣].

وأخرج الإمام البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يصنع كل صانع وصنعه».

-أيها الناس-، تلك هي أركان القدر أو مراتب القدر الأربعة التي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها، وها أنا ذا أعيدها على مسامعكم؛ لتعيها قلوبكم:

الركن الأول: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٢٥)، و صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٧).

الركن الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ.

الركن الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته التامة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

الركن الرابع: الإيمان بخلقه ﷻ لكن موجود، لا شريك له في خلقه.

وأسأل الله أن يرزقنا علما نافعا وعملا متقبلا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الخطبة الأولى: أخطاء في باب القدر

إن الحمد لله، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، -أيها الناس-، حديثي معكم اليوم حول أخطاء، يقع فيها كثير من الناس في باب القدر، وهذه الأخطاء منها ما في الأقوال، ومنها ما في الأفعال، ومنها ما هو في الاعتقادات، ومنها ما هو في ذلك كله ^(١).

فمن الأخطاء في باب القدر ترك الأخذ بالأسباب:

اتكالا على المكتوب المقدر، وهذا خطأ وضلال؛ لأن الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب في

(١) انظر «الإيمان بالقضاء والقدر» لمحمد بن إبراهيم الحمد، فقد استفدت منه في هذه الخطبة وغيرها.

مختلف شئون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ العدة لمواجهة الأعداء، والتزود للأسفار، وغير ذلك.

قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال الله ﷻ: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ

اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأمر المسافرين للحج بالتزود، فقال: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأمر بالدعاء والاستعانة، فقال: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

وقد شرح شيخ الإسلام هذا الحديث، فقال: «فأمره بالحرص على ما ينفعه، والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز: الذي هو الاتكال على القدر، ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته، بل ينظر إلى القدر، ويسلم لأمر الله، فإنه هنا لا يقدر على غير

(١) تقدم تخريجه.

ذلك، كما قال بعض العقلاء: الأمور أمران: أمر فيه حيلة، وأمر لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا تعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه»^(١)

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات:

وهذا العمل تصحيح لمذهب الكفار الذين قال الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءَؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فهؤلاء المشركون احتجوا على شركهم بالقدر، فلو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً، ما أذاقهم الله بأسه، بل لو كان الاحتجاج بالقدر سائغاً، ما كان هناك داع لإرسال الرسل.

قال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ نُوحِ﴾ [النساء: ١٦٥]

-أيها الناس-، إن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات احتجاج باطل في الشرع، والعقل، والواقع، فلو كان القدر حجة على المصائب، والذنوب، لتعطلت مصالح الناس، ولعمت الفوضى، ولما كان هناك داع للحدود، والتعزيرات، والجزاءات؛ لأن المبيء سيحتج بالقدر، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة وقطاع الطريق، ولا إلى فتح المحاكم، ونصقب القضاة؛ بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله، وهذا لا يقوله عاقل.

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٨٤، ٢٨٥).

أيها لناس، إن المؤمن الحق بقضاء الله وقدره إنما يحتج بالقدر على المصائب، والشقي يحتج بالقدر على المعائب.

ولهذا قال شيخ الإسلام: «يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان: كالفقر، والمرض، وفقد القريب، وخسارة المال، وقتل الخطي، ونحو ذلك، فهذا من تمام الرضا بالله ربا، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب لا المعائب، فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب،

كما قال الله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ﴾ [غافر: ٥٥]

والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب»^(١)

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر التائب من الذنب، فلو لامه أحد على ذنب تاب منه، لساغ له أن يحتج بالقدر، فلو قيل لأحد التائبين: لم فعلت كذا وكذا؟، ثم قال: هذا بقضاء الله وقدره، وأنا تبت واستغفرت لقبل منه ذلك الاحتجاج، كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله^(٢).

والدليل علم أنه يجوز للتائب أن يحتج بالقدر:

ما في «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم، أنت أبونا، خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة! قال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بظلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي، قبل

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/٤٥٤).

(٢) انظر «شفاء العليل» لابن القيم (ص ٣٥).

(٣) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

أن يخلقني بأربعين سنة؟!» فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى - ثلاثاً-».

قال شيخ الإسلام رحمته الله في شرح لهذا الحديث: «فآدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف وموسى عليه السلام لم يلم آدم على الذنب؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه فتاب، فاجتباه ربه، وتاب عليه، وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولو أن موسى لا آدم على الذنب لأجابه: إنني أذبت، فتبت، فتاب الله عليّ، ولقال له: أنت يا موسى أيضاً قتلت نفساً، وألقيت الألواح، إلى غير ذلك، إنما احتج موسى بالمصيبة، فحجه آدم بالقدر»^(١).

-أيها الناس-، على ضوء هذا الحديث العظيم فقد قال أهل العلم: إنه لا يجوز لأحد أن يلوم التائب من الذنب، فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية.

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- التخلي عن مساعدة المحتاجين والمنكوبين:

بحجة أن ما حل بهم إنما هو بمشيئة الله، وهذا القول خطأ عظيم، وضلالة كبرى، وقائلوه فيهم شبه ممن قال الله تعالى فيهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أطعمه، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

فهذه الآية تدل على أن المشيئة ليست حجة لفعل المعاصي، أو ترك الطاعات أبداً.

قال العلامة ابن سعدي رحمته الله في تفسير هذه الآية: «وهذا مما يدل على جهلهم العظيم أو تجاهلهم الوخيم؛ فإن المشيئة ليست حجة لعاص أبداً، فإنه وإن كان ما شاء

(١) انظر «الفتاوى» (٨/ ١٧٨)، و«منهاج السنة» (٣/ ٧٨-٨١)، و«الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية (ص ١٨-٢٢).

الله كان، وما لم يشأ لم يكن فإنه تعالى مكن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر، واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم، لا جبراً لهم وقهراً^(١)

ومن الخطأ في باب القدر - أيها الناس - ترك الدعاء:

بحجة أن الله يعلم حاجة العبد، قبل أن يسأله، وأنه لو شاء لأعطاه مسألته بغير سؤال، وأنه لن يصيبه إلا ما كتب له، وهذا القول قول باطل؛ لأنه مناف للإيمان بالقدر، وتعطيل للأسباب، والدعاء شأنه عظيم؛ فبه يرد القدر، وبه يرفع البلاء؛ فهو ينفع مما نزل، ومما لم ينزل.

فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يرد القضاء إلا الدعاء».

وأخرج الترمذي في «سننه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل؛ فعليكم عباد الله بالدعاء».

(١) «تيسير الكريم الرحمن» لعبد الرحمن السعدي (ص ٦٩٧).

(٢) «مسند أحمد» (٥/٢٧٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٧)، وانظر «الصحيحة» (١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٠٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

وأخرج الحاكم في «مستدرکه» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل، فيتلقاء الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة». ومعنى يعتلجان: يتصارعان ويتقاتلان.

-أيها الناس-، إن الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقدر، والدعاء من الأسباب التي بها يرد القضاء.

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقع يرد القضاء، ولا يرد القضاء يعني له وجهان فمثلا: هذا المريض، قد يدعو الله تعالى بالشفاء، فيشفى، فهنا لولا هذا لدعاء لبقني مريضا، لكن بالدعاء شفي، إلا أننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى قد قضى بأن هذا المرض يشفى منه المريض بواسطة الدعاء، فهذا هو المكتوب، فصار الدعاء يرد القدر ظاهريا، حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقى المرض، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء؛ لأن الأصل أن الدعاء مكتوب، وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء، هذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل، وهكذا كل شيء مقرون بسبب، فإن هذا السبب جعله الله تعالى سببا يحصل به الشيء، وقد كتب ذلك في الأزل قبل أني حدث» أ.هـ.^(٢)

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الاعتراف علم الأقدار:

(١) أخرجه الحاكم (٤٩٢/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٣٩)، وانظر «المشكاة» (٢٢٣٤).

(٢) «المجموع الثمين» (١٥٧/١).

كقول بعضهم إذا أصيب بمصيبة: ماذا فعلت يا رب؟!، أو أنا لا أستحق ذلك. وكذلك ما يقال إذا أصيب شخص بمصيبة: فلان مسكين، لا يستحق ما جرى له، لقد ظلمته الأقدار، إلى غير ذلك من الاعتراض على قدر الله، ومن الجهل بحكمته ﷻ، فلا يجوز إطلاقها؛ لأن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وله الحكمة البالغة في شرعه، وخلقته، وفعله.

قال ﷻ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الدعاء بـ:

«اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه» فهذا الدعاء يجري كثيرا على الألسنة، وهو دعاء لا ينبغي؛ لأنه شرع لنا أن نسأل الله رد القضاء، غد كان فيه سوء.

وقد بوب البخاري رحمه الله بابا في «صحيحه»، قال فيه: «باب: من تعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)» [الفلق: ١]

ثم ساق حديث أبي هريرة (١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

وفي رواية قال سفيان: «الحديث ثلاث، زدت أن واحدة، لا أدري أيتها هي؟». وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: أخطاء في باب القدر

(١) رواه البخاري (٦٣٤٧) و(٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد، -أيها الناس-، إن مسائل القدر من الأمور المهمة، التي يجب على العبد أن يحققها تماما، حتى يصل فيها إلى درجة اليقين^(١) ومعرفة الأخطاء في باب القدر يقود إلى فهم القدر على الوجه الصحيح، وقد سبق ذكر بعض الأخطاء في باب القدر، وفيما يأتي ذكر بعضها:

فمن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- قول كلمة (لو):

عندما تحمل مصيبة، وذلك إذا كان الحامل عليها الحزن، والضجر، والجزع، وضعف الإيمان بالقدر، كحال من يقول إذا نزلت به مصيبة: كخسارة مال، أو تلف زرع، أو فقد أنفس، أو غير ذلك يقول: لو أني فعلت كذا وكذا، ما كان كذا وكذا، أو لكان كذا وكذا.

فهذه المقولة خطأ؛ وذلك أن العبد مأمور عند المصائب بالصبر، والاسترجاع، والتوبة، وقول (لو) لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر، مع ما يخاف على توحيده من نوع المعاندة للقدر، الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا، إلا ما شاء الله^(٢).

ولهذا نعى الله ﷻ على المنافقين مقولتهم: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا

هَهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]

(١) انظر «المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين» (١/١٥٢).

(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» (ص ٦٦١).

ومقولتهم: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]

وأرشدنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأخذ بالأسباب، وأن نحرض على ما ينفعنا، ومتى أتت الأمور على خلاف ما نريد، أرشدنا إلى التسليم لله، والإيمان به، والتعزي بقدره، مع حسن الظن به، والرغبة في ثوابه، فذلك عين الفلاح في الدنيا والآخرة^(١).

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- قول كلمة (ليت):

وهي من جنس كلمة (لو) فهما لا يجيدان في حصول الأمر المقدور.

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- الحسد:

فالحسد في حقيقته إنها هو اعتراض على قدر الله؛ لأن الحاسد لم يرض بقضاء الله، ولم يسلم لقدره، فلسان حال الحاسد يقول: إن فلانا أعطي، وهو لا يستحق، وفلانا منع، وهو يستحق العطاء.

فكأنه بحسده هذا يقسم رحمة ربه بين العباد، وكأنه يقترح على ربه ما يراه ملائماً في نظره فهو بصنيعه هذا يقدر في حكمة الله سبحانه وتعالى، ووضعه الأشياء في مواضعها اللائقة بها؛ فمن تمام الإيمان بالقدر ترك الحسد، والتسليم لله في جميع الأمور، فالمؤمن الحق لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم

(١) انظر المرجع السابق (ص ٦٦٢).

(٢) سبق تحريجه.

معاشيهم، فأعطى من شاء لحمة، ومنع من شاء لحكمة، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله، ويقدم في حكمته.

ولهذا قيل: «من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد»^(١).

ومن الأخطاء في باب القدر التسخط بالبنات:

فبعض المسلمين هداه الله إذا رزقه الله بنتا تسخط بها، وهذا فيه تشبه بأهل الجاهلية، الذين قص الله ﷻ علينا خبرهم، وأنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَنْزَوِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ٥٩ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩﴾ [النحل: ٥٨]

ومن الأخطاء في باب القدر الإقدام على قتل النفس الانتحار:

فهذا الصنيع مناف للإيمان بالقدر، والتسليم لله ﷻ في كل أمر، وهو من الأمور التي حرمها الله، وحذر من فعلها، وتوعد مرتكبها بالوعيد الشديد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [النساء: ٢٩]

ومن الأخطاء في باب القدر تمنى الموت، وهذا أيضا مناف للإيمان بالقدر، والتسليم لله، فإن كان المرء لا بد متمنيا، فليدع بهذا الدعاء المأثور، الذي في «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت من

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ٢٦٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

ضر أصابهن فإن كان لا بد فاعلا، فليقل: اللهم أهني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي»

ومن الأخطاء في باب القدر -أيها الناس- ترديد هذا السؤال: هل الإنسان مسير أو مخير؟

وكأن باب القدر لا يفهم إلا بالإجابة عن هذا السؤال.

والجواب: أن الحق وسط بين القولين، وهو أن الإنسان مخير باعتبار، ومسير باعتبار، فهو مخير باعتبار أنه له مشيئة يختار بها، وقدرة يفعل بها لقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولقوله ﷺ كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن».

وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر، وراجع إليه لكونه لا يخرج عما قدر الله لقول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وقد جمع الله بين هذين الأمرين أي: كون الإنسان مسيرا باعتبار، ومخيرا باعتبار في هذه الآية الكريمة: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿٢٩﴾ [التكوير: ٢٨]

فأثبت الله ﷻ أن للعبد مشيئة، وبين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، واقعة بها.

وأخيرا نسأل الله أن يرزقنا علما نافعا، وعملا متقبلا، ويجعلنا هداة مهتدين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

(١) سبق تحريجه.

الخطبة الأولى: أشراف الساعة الصغرى

إن الحمد لله ...

أما بعد،

-أيها الناس-؛ حديثي معكم اليوم عن أشراف الساعة الصغرى، وسميت بالصغرى لأنها معتادة الوقوع وتتقدم الساعة بأزمان، خلافا لأشراف الساعة الكبرى؛ فهي غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

-أيها الناس-؛ قد جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث عمر رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» فإذا كان أعلى الملائكة منزلة وهو جبريل، وأعلى البشر منزلة وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلمان متى تكون الساعة فأحرى بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

إذن فعلم الساعة من خصائص علم الله لا يعلم وقت وقوعها، لا ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِئُهَا لَوْفٌ إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ففي هذه الآية الكريمة أخبر الله تعالى أنه لا أحد يعرف وقت الساعة غيره تعالى وأنها تأتي بغتة وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدري متى هي، فهي إحدى مفاتيح الغيب

(١) رواه مسلم (٨).

الخمسة التي هي من مكنونات علم الله، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٣٤] [لقمان: ٣٤].

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم تلا هذه الآية: «إن الله عنده علم الساعة».

-أيها الناس-؛ إن الله ﷻ قد أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده لكنه سبحانه وتعالى أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها، وهذه الأمارات والعلامات هي أشرط الساعة.

قال الله ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [١٨] [محمد: ١٨].

والمراد بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة^(٢)

وهذه العلامات منها ما قد وقعت، ومنها ما قد وقعت ولا تزال مستمرة، ومنها ما لم تقع:

فمن أشرط الساعة التي قد وقعت:

بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) رواه البخاري (٤٩٦٧).

(٢) فتح الباري (٧٩/١٣).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين، كفضل إحداهما على الأخرى - وضم السبابة والوسطى».

فدل هذا الحديث على أن أول علامة الساعة - أيها الناس - بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو النبي الأخير، فلا يليه نبي آخر، وإنما تليه القيامة كما يلي السبابة والوسطى ليس بينهما إصبع، أو كما يفضل إحداهما أخرى»^(٢).

ومن أشراف الساعة التي قد وقعت انشقاق القمر:

قال الله تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١]

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) أيضا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا» وفي رواية أخرى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا».

ومن أشراف الساعة: موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (١) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).
- (٢) انظر فتح الباري (٣٤٩/١١)، وتحفة الأحوذى شرح الترمذى (٤٦٠/٦) والتذكرة (ص ٦٢٥ - ٦٢٦).
- (٣) رواه مسلم (٢٨٠٢).
- (٤) رواه مسلم (٢٨٠٠).

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة آدم، فقال: «اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألف». وهذه العلامات منها ما قد وقعت كفتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب، والمقصود بالموتان الذي يأخذ الناس كقعاص الغنم: هو طاعون عمواس كما قال العماء، وقد وقع ذلك في عهد عمر بن الخطاب ومات فيه خيار الصحابة كأبي عبيدة بن الجراح.

وأما استفاضة المال: فمن العلامات التي لا تزال مستمرة، وقد فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكان الرجل يعرض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله وسيكثر المال في آخر الزمان: حتى يعرض الرجل ماله، فيقول الذي يعرضه عليه: «لا أرب لي به».

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل، فيقول: لا أرب لي فيه».

(١) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٤١٢).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة»، قال: «فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي. ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا».

ومن أشراف الساعة التي قد وقعت: ظهور نار الحجاز:

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز؛ تضيء أعناق الإبل ببصرى»، وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربع وخمسين وست مائة، وكانت نارا عظيمة، أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها.

وم العلماء الكبار الذين كانوا أحياء عند خروج هذه النار الإمام النووي رحمته الله وقد ذكرها في شرحه «صحيح مسلم»^(٤) فقال: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارا عظيمة جدا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة».

(١) رواه مسلم (١٠١٢).

(٢) رواه مسلم (١٠١٣).

(٣) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢٨/١٨).

وذكر ابن كثير رحمه في كتابه «النهاية»^(١): «أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض (الحجاز). وبصرى - أيها الناس - مدينة معروفة بالشام ويقال لها (حوران) بينها وبين مدمش ثلاث مراحل.

-أيها الناس - تلك علامات للساعة قد مضت.

وهناك علامات قد وقعت، وهي مستمرة فونها:

ضياع الأمانة:

ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله؛ فانتظر الساعة».

ففي إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم يولون أمرهم من لا يهتم بدينه، فيكون ذلك سببا في تضييع الأمانة، فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة - والناس تبع لمن يتولى أمرهم -؛ كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصالح حال الولاء صلاح لحال الرعية، وفساده فساد لهم.

ومن أشراف الساعة: قبض العلم وطهور الجهل والفتن، ويلقى الشح:

ويكثر القتل ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أشراف الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل».

(١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١ / ١٤).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٦).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج» قال ابن بطال رحمته الله كما في «فتح الباري»^(٣): جميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراف قد رأيناها عيانا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقى الشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل» وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: أشراف الساعة الصغرى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

-أيها الناس-؛ إن أشراف الساعة الصغرى الحديث عنها ذو شجون، فهي أكثر من أن تحصر: وقد تقدم الحديث عن بعضها، وفيما يأتي ذكر شيء منها:

فمن أشراف الساعة -أيها الناس-: انتشار الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء:

ففي «الصحيحين»^(٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشراف الساعة: أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد».

ومن أشراف الساعة انتشار الربا:

(١) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) رواه مسلم (١٥٧).

(٣) فتح الباري (١٦/١٣).

(٤) رواه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

حتى إن الرجل لا يبالي بما أخذ المال؛ أمن حلال أم من حرام؟ ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال؛ أمن حلال أم من حرام؟».

ومن أشرط الساعة -أيها الناس- ظهور المعزف واستحلالها:

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سيكون ف آخر الزمان خسف، وقذف، ومسح» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا ظهرت المعازف والقينات».

والمعازف -أيها الناس- هي: آلات الملاهي، كالعود، والطنبور، والدف، وكل لعب عزف، وقد وقع شيء كبير في العصور السابقة، وهي الآن أكثر ظهوراً، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمان، وانتشرت انتشاراً عظيماً، وكثر المغنون والمغنيات وهم المشار إليهم في هذا الحديث بـ (القينات)^(٣).

وأعظم من ذلك استحلال كثير من الناس للمعازف، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسح، والقذف، والخسف كما في الحديث السابق.

وفي «صحيح البخاري»^(٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَّ والحريِرَ والخمرَ والمعازف».

ومن أشرط الساعة: شرب الخمر وتسميتها بغير اسمها:

(١) رواه البخاري (٢٠٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٥٩).

(٣) أشرط الساعة ليوسف الوابل (ص ١٤١).

(٤) رواه البخاري.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه».

ومن أشراف الساعة: زخرفة المساجد والتباهي بها:

فقد أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد».

قال البخاري: «قال أنس: يتباهون بها، ثم لا يعمرونها إلا قليلا، وفالتباهي بها: العناية بزخرفتها. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»^(٣).

ومن أشراف الساعة: التطاول في البنيان، وأن تلد الأمة ربتها:

ففي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عندما سأله عن وقت قيام الساعة: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان».

ومن أشراف الساعة: أن يكون السلام للمعرفة:

-
- (١) أخرجه أحمد (٣١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤٥).
 (٢) أخرجه أحمد (١٣٤/٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١).
 (٣) صحيح البخاري (٥٣٩/١).
 (٤) رواه مسلم (٨).

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة».

وفي رواية له: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة»^(٢).

وهذا أمر مشاهد في هذا الزمن، فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون، وهذا خلا السنة؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حث على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف، وأن ذلك سبب في انتشار المحبة بين المسلمين التي هي سبب للإيمان الذي به يكون دخول الجنة؛ ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١) مسند أحمد (٥/٣٢٦).

(٢) مسند أحمد (٥/٣٣٣)، وهو في «الصحيح» (٦٤٧)، ومسلم (٥/٢).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٠).

الخطبة الأولى: المهدي

إن الحمد لله...

أما بعد:

-أيها الناس- حديثي معكم اليوم عن المهدي عليه السلام.

وهو رجل يخرج في آخر الزمان من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط؛ تخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد^(١).

ففي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم^(٢).

ولا بد أن نعرف -أيها الناس- شيئاً من صفاته ونسبه.

فهو رجل اسمه كاسم رسول الله ﷺ واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ ويكون اسمه محمد بن عبد الله، ففي «سنن أبي داود» بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني» أو «من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي،

(١) انظر: «أشراط الساعة» للوابل (ص ٢٤٩).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ٣١).

(٣) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٤).

واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي».

وروى أبو نعيم في «أخبار أصبهان» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث معاوية بن قرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتملأن الأرض جوراً وظلماً، وإذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً اسمه اسمي، فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً».

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً».

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح^(٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة».

قال صاحب عون المعبود:^(٤) «واعلم أن المشهور بين كافة أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/١٦٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٠٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤٠٨٦).

(٤) عون المعبود (١١/٣٦١).

عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل مع فيساعده على قتله ويأتهم بالمهدي في صلاته».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت، ويصلحه الله في ليلة».

قال الحافظ ابن كثير: (أي: يتوب عليه، ويوقفه، ويلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك)^(٢)، وفي «سنن أبي داود» بسند حسن حسنه الألباني في المشكاة^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة، أقتنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين».

وفي «الحاوي» للسيوطي بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال قال رسول الله ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه».

ففي هذا الحديث -أيها الناس- لدليل على أن المهدي هو من يصلي بعيسى بن مريم وهو دليل على صلاح أمر المهدي رضي الله عنه.

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسند» (٥٨/٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦١١).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢٩/١).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٢٨٥): وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٤٥٤).

(٤) صحيح: أخرجه السيوطي في «الحاوي» (٦٤/٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٩٦).

ومما يدل أيضا على أن المهدي هو من يصلي بعيسى بن مريم عليه السلام ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟!».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

قال: «فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صل لنا. فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض إمرأ؛ تكرمة الله هذه الأمة».

-أيها الناس-: لقد نص أهل العلم على صحة أحاديث المهدي وأنها متواترة تواترا معنويا.

قال الإمام الحافظ أبو الحسن الآجري رحمته الله: (قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذر المهدي، وأنه من أه بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأه يملأ الأرض عدلا، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه)^(٣).

وقال العلامة محمد السفاريني: (وقد كثرت بخروجه أي: المهدي الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عد من معتقداتهم).

(١) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٧٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٥٦).

(٣) تهذيب الكمال للمزي (٣/ ١١٩٤).

ثم ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي، وأسماء بعض الصحابة من رواها، ثم قال: (وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم صلى الله عليه وسلم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة)^(١)

وفي عهد المهدي -أيها الناس- يكثر الخير وتعظم الأمة:

ففي «مستدرک» الحاكم بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا وتكثر المشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا، يعني حجة».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية : ما يجب علينا قبل خروج المهدي؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس- تقدم الحديث عن خروج المهدي وبسطنا الأدلة على ذلك وسوف أتحدث معكم الآن عما يجب علينا قبل خروج المهدي.

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٤/ ٥٥٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١١).

أنه يجب عليه - أيها الناس - أن نجتهد في العمل الصالح والسعي لتوطيد دعائم هذا الدين ورفعته شأنه.

فإن وقت خروج المهدي لا يعلمه إلا الله ﷻ ولا يعلم الناس بذلك إلا بعد ظهوره طهورا مستحكما.

ولنعلم أن النبي ﷺ بشر أمته بالنصر لكن من غير تحديد ولا تقريب فلو على الناس أنهم منتصرون على عدوهم في وقت ما لسمعتهم بعجائب الأخبار في تاريخ الحاملين.

وما أمر الله به النبي ﷺ من الصبر وما بشر به من النصر قد جمعه في غير ما سورة، من ذلك قوله ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَأْمَانُ رَبِّكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْتَنَا فَإِنَّا بِرُجُوعِهِمْ﴾ [غافر: ٧٧].

فانظروا - أيها الناس - كيف كان التبشير بالنصر غير محدد الأجل حتى لا تركز إلى مجرد الأمل.

فنحن - أيها الناس - مأمورون بأن نشغل أنفسنا بالتمسك بالحق من غير أن نتعلق بالنتائج قال الله ﷻ: ﴿فَمَا نَزَّهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ (٤١) أَوْ نُزَيِّنَّاكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣)﴾ [الزخرف: ٤١].

وقد خرج رسول الله ﷺ من بلده مكة، ثم أراه الله ﷻ أنه دخلها وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة من غير أن يحدد لهم وقتا لفتح مكة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن الرؤيا تنفسر هذا العام وذلك هو قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ

صَدَقَ اللهُ رَسُوْلَهُ الرَّءْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۗ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ [الفتح: ٢٧].

-أيها الناس - لقد أخبر الله ﷺ: أن الرسول ﷺ وأصحابه سيدخلون مكة
ويطوفون بالبيت ووعده ﷺ حق فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجع المسلمون
من غير دخول مكة، كثر في ذلك الكلام منهم حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ ألم
تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: «أخبرتكم أنه العام؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم
ستأتون وتطوفون به».

فقد روي في «صحيح البخاري»^(١) في قصة صلح الحديبية، وكان من نتائجه أن
المسلمين يرجعون ولا يدخلون مكة عامهم ذلك، وفيها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:
فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: أأنت نبي الله حقا؟ قال: «بلى!» قلت: أألسنا على الحق
وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى!» قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: «إني
رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت
فنطوف به؟

قال: «بلى! فأخبرتكم أنا نأتي العام؟» قال: قلت: لا! قال: «فإنك أتته ومطوف به»
قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى! قلت: أألسنا
على الحق وعدنا على الباطل؟ قال: بلى! قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: أيها
الرجل! إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغرزه، فوالله إنه
على الحق.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى! أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا! قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا.

-أيها الناس- الذي أريد أخلص إليه هو أن نصر الله قريب لكن كل ذلك من غير تحديد سابق والمهدي سوف يخرج لا محالة لكن لا نعلم وقت خروجه.

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(١) (خروج المهدي لا يستلزم التوكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيا من نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ظل ثلاثا وعشرين عاما وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعا وأحزابا وعلماؤهم إلا القليل منهم اتخذهم الناس رءوسا! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صوف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلى أن يقودهم إلى النصر.

وإن لم يخرج فقط قاموا بواجبهم والله يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ،

وَالْمُؤْمِنُونَ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وقفنا الله جميعا إلى ما فيه خير الدنيا ونعيم الآخرة.

(١) الصحيحة (٤/٤٢، ٤٣).

الخطبة الأولى: الدجال

إن الحمد لله ...

أما بعد:

-أيها الناس- حديثي معكم اليوم عن أعظم فتنة في حياة البشر إنها فتنة الدجال وما من نبي بعثه الله إلا حذر أمته من الدجال وهو خارج في هذه الأمة وخروجه من أشراط الساعة الكبرى.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا -أيها الناس-، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال».

ولقد أشفق الصحابة رضي الله عنهم من أن يخرج الدجال عليهم.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا عرف

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧٥٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٣) رواه مسلم (٢١٣٧).

ذلك فينا فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخصت فيه ورفعت حتى ظننا في طائفة النخل فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وشمالا يا عباد الله فاثبتوا».

قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم».

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا» قلنا: يا رسول الله! وما أسرع في الأرض؟ قال: «كالغيب استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمدته خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فيبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينا

هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف أي يكون في أنوف الإبل والغنم في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فطيرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي: كالروضة) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها (أي بقشرها) ويبارك في الرسل حتى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفع الحمير ولا يكثرثون لذلك) فعليهم تقوم الساعة».

وللدجال - أيها الناس - صفات أخبرنا بها نبينا صلى الله عليه وسلم لنحذره ونبتعد عنه.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح صححه الألباني في «المشكاة»^(١) من حديث عبادة بن الصامت أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «إني قد حدثكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مظموس العين ليس بناتئة ولا حجرا فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور».

وفي «مسند أحمد بسند» صحيح^(٢) من حديث أبي أمية أنه قال: أتيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ فقلت له: حدثني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثني عن غيرك وإن كان عندك مصدقا فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبي إلا أنذر قومه أو أمته، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى وأنه يمطر ولا ينبت الشجر وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار وناره جنة وإنه يلبث فيكم أربعين صباحا يرد فيها كل منها إلا أربع مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الأقصى، وإن شكل عليكم أو شبه فإن الله ﷻ ليس بأعور».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى جفاف الشعر معه جنة ونار فناره جنة، وجنته نار». ومن صفات الدجال أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم.

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٣٤/٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٤).

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من نبي إلا وقد أُنذِر أُمَّته الأَعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر».

وفي رواية «يقرؤه كل مسلم».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما: رأي العين، ماء أبيض، والآخر: رأي العين نار تأجج، فإذا أدركن أحدا فليأن النهر الذي يراه ناراً وليغمض، ثم ليطأ رأسه فيشرب منها فإنه ماء بارد وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب».

وأما أتباع الدجال -أيها الناس- فهم كثير لشدة ما يبعث فيهم من الشبه وما يجريه الله على يديه من الخوارق.

وأكثر أتباع الدجال من النساء.

لما في «مسند أحمد» بسند صحيح لغيره^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقناة فيكون أكثر من يخرج إليه لناس حتى إن الرجل لليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن

(١) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤).

(٣) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٧/٢).

تخرج إليه ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم هذا يهودي تحتي فاقتله».

واليهود أيضا من أتباع الدجال ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس بن مالك **رضي الله عنه** أن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** قال: «ليتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالة».

وأما مكان خروج الدجال -أيها الناس- فهو يخرج من المشرق حيث مصدر الفتن ومقرها.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**: «رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والعدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث أبي بكر الصديق **رضي الله عنه** قال: حدثنا رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**: «إن الدجال يخرج من أرض بالشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة».

ويكون ظهوره عندما يكون بين الشام والعراق، لما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث النواس بن سمعان يرفعه: «إنه خارج خلة بيني الشام والعراق، فعاث يميننا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا».

(١) رواه مسلم (٢٩٤٤).

(٢) رواه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٣/٣)، و صححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩١).

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث معكم عن الدجال وفيما يأتي ذكر الوقاية من فتنة الدجال.

-أيها الناس-، لقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيرا إلى دل أمته عليه، ولا شرا إلا حذرها إلى قيام الساعة، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، واختص نبينا محمد ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرا من صفات الدجال؛ ليحذر أمته؛ فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ومحمد ﷺ خاتم النبيين.

وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى ﷺ أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة بإذن الله.

ومن هذه الإرشادات:

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

التمسك الإسلام والتسلح بالعلم النافع والعمل الصالح، ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد فنعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب، وأن الله ﷻ منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم^(١)

ومن هذه الإرشادات:

التعوذ بالله من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات من شر فتنة المسيح الدجال» وكان الإمام طاوس يأمر ابنه بإعادة الصلاة إذا لم يقرأ بهذا الدعاء في صلاته وهذا دليل على حرص السلم على تعليم أولادهم هذا الدعاء العظيم.

(١) انظر أشراف الساعة للوابل (ص ٢٣٥) وقد استفدت منه كثيرا.

(٢) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) رواه مسلم (٥٩٠).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح^(١) من حديث أبي قلابة رضي الله عنه قال: رأيت رجلا بالمدينة وقد طاف الناس به وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: فسمعتة وهو يقول: «إن من بعدكم الكذاب المضل وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك (أي شعر رأسه متكسر من الجعوده) ثلاث مرات وإنه سيقول: أنا ربكم، فمن ثال: لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك لم يكن عليه سلطان». وفي رواية^(٢): «ونعوذ بالله منك» قال: «فلا سبيل له عليه».

ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم أمته: حفظ عشر آيات من أول «سورة الكهف» وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها. ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما جاء في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف».

وفي «صحيح مسلم» أيضا^(٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال».

قال مسلم: قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام من أول الكهف كما قال هاشم^(٥)، وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى الابتعاد عن الدجال غاية البعد وذلك لما من

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥ / ٣٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤١٠).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٤) رواه مسلم (٨٠٩).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٦ / ٩٢).

الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فيأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه، الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سمع بالدجال؛ فليأمن عنه (أي فليبتعد عنه) فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات».

ومن الإرشادات التي أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم

الترغيب في سكنى مكة والمدينة فإن الدجال لا يدخل مكة والمدينة حتى يدخل الجمل في سم الخياط وهيئات.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنفاق».

ولعل في هذا القدر كفاية، فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعافينا ويعيذنا من فتنة الدجال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) الفتح الرباني (٢٤ / ٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٧٧).

(٢) رواه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

الخطبة الأولى: نزول عيسى عليه السلام

إن الحمد لله ...

أما بعد:

حديثي معكم -أيها الناس- عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ونزوله إحدى أشرط الساعة الكبرى.

ونزوله ثابت في الكتاب والسنة فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلْهَمْنَا خَيْرًا أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُكُ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرْطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٥٧]

ففي هذه الآيات دليل أن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة.

لما في «مسند أحمد» بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «وإنه لعلم للساعة»؛ قال: «هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: الصحيح: أنه -أي: الضمير- عائد على عيسى؛ فإن السياق في ذكره^(٢).

(١) مسند أحمد (٤/٣٢٩) وسنده صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٢٢٢).

ومما يدل على نزول عيسى بن مريم عليه السلام قول الله ﷻ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩]

فهذه الآيات؛ كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ لَمَّا تَضَعُ طِفْلَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَرَأَيْكَ إِلَىٰ الْآلِ عَمْرَان: ٥٥﴾.

فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته وهذا الذي عليه أهل العلم.

فقد أخرج ابن جرير بسنده^(١) إلى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» قال: قبل موت عيسى بن مريم. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح^(٢).

وروى ابن جرير بسنده^(٣) إلى الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: قبل موت عيسى، والله إنه الآن حي عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عدلا وحكما مقسطا فمنها:

(١) تفسير الطبري (٦/١٨).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/١٣١).

(٣) تفسير الطبري (١/١٨).

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها».

ثم يقول أبو هريرة: واقراءوا إن شئتم «وإن من أهل الكنن إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا» [النساء: ١٥٩].

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا أنزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».

ففي هذا الحديث دليل على نزول عيسى بن مريم عليه السلام في هذه الأمة وإمامهم منهم وهو المهدي عليه السلام.

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة»؛ قال: «فينزل عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فيقول أميره: تعال لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة».

(١) رواه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٣) رواه مسلم (١٥٦).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء (هو بين مكة والمدينة) حاجاً أو
معتمراً أو ليشننهما» (أي ليقرن بينهما).

-أيها الناس-، إن الأدلة على نزول عيسى عليه السلام أشهر من النار على علم
وهي صحيحة وهو نازل في هذه الأمة ونزوله علامة من علامات الساعة فهو صحابي
ونبي ولم يأت بدين جديد وإنما يجدد الله به دين الإسلام فهو واحد من هذه الأمة، وقد
ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه: «تجريد أسماء الصحابة»^(٢) فقال:
«عيسى ابن مريم عليه السلام صحابي، ونبي؛ فإنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وسلم
عليه، فهو آخر الصحابة موتاً».

-أيها الناس-، بعد أن استوفيت الحديث عن نزول عيسى بن مريم عليه السلام
أذكركم بصفته كما دلت عليه الأدلة الصحيحة.

-أيها الناس-، إن الأدلة تدل على أنه رجل مربع القامة، ليس بالطويل ولا
بالقصير، أحمر، جعد، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنها خرج من ديباس (أي حمام) له
لمة (واللمة هو شعر الرأس متى جاوز شحمة الأذنين فهو لمة ومتى زاد عن ذلك فهو:
جمّة) قد رجلها تملأ ما بين منكبيه^(٣).

ومن الأدلة على صفة عيسى عليه السلام:

-
- (١) رواه مسلم (١٢٥٢).
(٢) تجريد أسماء الصحابة للذهبي (١/٤٣٢).
(٣) أشراط الساعة للوابل (٣٣٧).

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليلة أسري بي لقيت موسى (فنعته، إلى أن قال): ولقيت عيسى (فنعته فقال): ربعة، أحمر، كأنما خرج من ديباس» (يعني: الحمام).

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيت عيسى وموسى وإبراهيم؛ فأما عيسى؛ فأحمر جعد عريض الصدر».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني» (فذكر الحديث، وفيه) «وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلا آدم (أي أسمر شديد السمرة) كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجلها، فهي تقطر ماء، متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ ف قيل: هذا المسيح ابن مريم».

وفي «مسند أحمد» بسند حسن وصححه الألباني في «الصحيحة»^(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا

(١) رواه البخاري (٣٤٣٧)، ومسلم (ص ٣٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٨).

(٣) رواه مسلم (١٧٢).

(٤) رواه البخاري (٣٤٤١)، ومسلم (١٦٩).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٦/٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢).

أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا أريتموه فاعرفوه رجلا مربوعا إلى الحمرة والبياض وعليه ثوبان ممصران (أي فيه صفرة خفيفة) كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعوا الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وقنع الأمنة (أي الأمن) على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنهار مع البقر، والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: بعض أعمال عيسى عليه السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

-أيها الناس-: تقدم الحديث عن نزول عيسى عليه السلام وشيء من صفاته فحديثي معكم الآن عن بعض أعماله.

-أيها الناس- إن عيسى عليه السلام سوف ينزل في هذه الأمة ولن ينزل بشرع جديد إنما يحكم بالشريعة الإسلامية؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة لا ينسخ فيكون عيسى عليه السلام حاكما من حكام هذه الأمة، ومدددا لأمر الإسلام، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم لقول الله سُبْحَانَ اللَّهِ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

خلاصة القول: أن عيسى عليه السلام من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ومعدود من الصحابة لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، وتقدم إمام للصلاة، فيرجع ذلك الإمام طالبا من عيسى عليه السلام أن يتقدم فيؤمهم فيأبى.

كما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة».

وبعد فراغ عيسى عليه السلام من الصلاة يتوجه إلى بيت المقدس حيث يكون الدجال محاصرا عصاة المسلمين، فيقول لهم عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا، ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ذربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله».

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته».

(١) رواه مسلم (١٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٩٧).

أما كيف يذوب الدجال؟ فيجب أن نعلم أن الله ﷻ أعطى لنفس عيسى رائحة خاصة إذا وجدها الكافر مات منها ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه: «فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة شرقي دمشق، بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجرد ريش نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه باب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة». وأيضا تكون نهاية يأجوج ومأجوج، وهلاكهم على يد عيسى عليه السلام وببركة دعائه.

-أيها الناس- قبل أن أدع مقام هذا أذكركم بوصية من رسول الله ﷺ لمن لقي عيسى عليه السلام،

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام».

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٢٩٨) وسنده صحيح.

الخطبة الأولى: خروج يأجوج ومأجوج

إن الحمد لله ...

أما بعد:

-أيها الناس-، حديثي معكم اليوم عن يأجوج ومأجوج وخروجهم في آخر الزمان وذلك بعد نزل عيسى بن مريم عليه السلام وهزيمة الدجال، وخروجهم إحدى أشراط الساعة الكبرى.

والأدلة على خروجهم آخر الزمان كثيرة معلومة فمنها:

قال الله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (١٦) وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧]

قال الإمام السعدي رحمه الله: في تفسير هذه الآيات: «هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بين آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان يفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله، من كل مكان مرتفع، وهو الحدب، يسنلون: أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليه الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يدان لأحد بقتالهم.

وقال الله ﷻ في سياق لقصة ذي القرنين: ﴿ ثُمَّ أَنْعَ سَبِيًّا ﴾ (١٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا بَدَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ

بَجْعَلُكَ خَرَمًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصُّدُوفِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَبَعُوا لَهُ نَقِبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ مَجْعًا ﴿٩٩﴾

[الكهف: ٩٢-٩٩]

فهذه الآيات تدل على أن الله ﷻ سخر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقتربت الساعة، اندك هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير، لا يقف أمامه أحد من البشر، فهاجوا في الناس، وعاثوا في الأرض فسادا، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراج الدنيا، وقيام الساعة^(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآيات^(٢): ﴿ثُمَّ أُنْعَمَ سَبِيًّا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ قال الفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان سداد بين يأجوج ومأجوج وبين الناس: وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجاب أذهانهم وقولبهم وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: «إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض» بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

(١) تفسير ابن سعدي (٥٣١).

(٢) انظر تفسير ابن سعدي (ص ٤٨٦)، (٤٨٧٩).

«فهل نجعل لك خرجا» أي: جعلنا «على أن تجعل بيننا وبينهم سدا» ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنیان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه فبدلوا له أجره ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلبهم ما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: «قال ما مكني فيه ربي خير».

أي: مما تبدلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم «أجعل بينكم وبينهم ردما» أي: مانعا من عبورهم عليكم». «أتوني زبر الحديد» أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

«حتى إذا ساوى بين الصدفين» أي الجبلين اللذين بني بينهما السد.

«قال انفخوا» النارأي: أوقدوها إيقادا عظيما، واستعملوا لها المنافع لتشتد فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد «قال أتوني أفرغ ليه قطرا» أي: نحاسا كذلك مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحکم السد استحكما هائلا، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

«فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا» أي: فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليتها وقال: «هذا رحمة من ربي» أي من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعمة الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترفهم بنعمة الله، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عشر ملكة

سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]

بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشرا وبطرا كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]

وقوله: «فإذا جاء وعد ربي» أي لخروج يأجوج ومأجوج «جعله» أي ذلك السد المحكم المتقن «دكاء» أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض».

-أيها الناس-، تقدم ذكر بعض الآيات التي تدل على خروج يأجوج ومأجوج وسأذكر بعض الأحاديث الدالة على ظهورهم وهي كثيرة فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها)»، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يفتح الردم - ردم يأجوج ومأجوج - مثل هذه وعقد وهيب تسعين».

ومما دل على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة

(١) رواه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) رواه البخاري (٧١٣٦)، ومسلم (٢٨٨١).

وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

فاشدد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أين ذلك الرجل؟

قال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنك رجل» ثم قال: «والذي نفسي بيده إن لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قال: فحمدنا الله وكبرنا، قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة لابضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار».

وأستغفر الله.

الخطبة الثانية: كيف يكون خروج يأجوج ومأجوج

الحمد لله رب العالمين والصلاة على أشرف المرسلين.

أما بعد:

-أيها الناس-، تقدم الحديث عن الأدلة الدالة على خروج يأجوج ومأجوج وسوف أتحدث مكعم الآن عن طريقة خروجهم.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا مستحفره غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا. حتى إذا كادوا

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٥١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٥).

يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه، وهو ك هيئته حيث تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي أحفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفا في أفئهم فيقتلهم بها».

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن دواب الأرض تتسمن وتشكر شكرا من لحومهم».

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البضاء شرقي دمشق بني مهروديتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه (أي الدجال) فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان (أي لا قدرة) لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدكم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم».

(١) رواه مسلم (٢١٣٧).

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه (أي يدعون الله) فيرسل الله عليهم النغف (هو دود يكون أنوف الإبل والغنم) في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى أهل فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فطرحهم حيث يشاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة (أي كالروضة) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانه ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقح من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر (أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفع الحمير ولا يكثرثون لذلك) فعليهم تقوم الساعة».

ويأجوج ومأجوج - أيها الناس - لا قدرة لأحد بقتالهم كما دل عليه الحديث والسبب في أنه لا يستطيع أحد الوقوف في جوههم لكثرتهم يدل على ذلك أن المسلمين يوقدون من أسلحتهم بعد هلاكهم سبع سنين.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) من حديث النواس بن سمعان يقول: قال رسول الله ﷺ: «سيوق المسلمون، من قيسّ يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم، سبع سنين».

وأسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٧٨)، و صححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٠).

الخطبة الأولى: سائر أشراف الساعة

إن الحمد لله...

أما بعد:

حديثي معكم -أيها الناس- عن سائر أشراف الساعة الكبرى.

-أيها الناس-؛ اعلّموا -علمني الله وإياكم- أنه بعد موت عيسى بن مريم عليه السلام تعود البشرية إلى جاهليتها الأولى أو أشد.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في حديثه الطويل وفيه: «ثم يرسل الله ريحا برادة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه»، قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارة أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور».

ومن الأوثان التي تعبد -أيها الناس-: (ذو الخليفة) طاغية دوس، واللات والعزى، ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

(١) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) رواه البخاري، ومسلم (٢٩٠٦).

صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» وذو الخلصة: الصنم الذي كانت تعبده دوس في الجاهلية.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت ورسو الله صلى الله عليه وسلم يقولك «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»، فقالت: عائشة: يا رسول الله؛ إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

أن ذلك تاما، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم».

ومن أشراف الساعة الكبرى: تخرب الكعبة:

ثم لا تعمر بعد ذلك أبدا، ثم لا يحج البيت بعد ذلك، ويكون خرابها على يد رجل من الحبشة؛ ففي «صحيح البخاري»، و«مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يباع الرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل

(١) رواه مسلم (٢٩٠٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٢٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٩).

البتي إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراب لا يعمر بعد أبدا، أو هم الذين يستخرجون كنزه».

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليُحج البيت واليعتمر بعد خروج يأجوج ومأجوج».

تابعه أبان وعمران عن قتادة، وقال عبد الرحمن، عن شعبة: قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت».

ومن أشراف الساعة الكبرى -أيها الناس-: الخسوفات الثلاث التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات (فذكر منها): وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالغمرب، وخسف بجزيرة العرب».

**ومن أشراف الساعة الكبرى -أيها الناس-: ظهور الدخان في آخر الزمان:
ومن أدلة ظهوره:**

قول الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠-١١]، وهذا الدخان -أيها الناس- لا محالة واقع قبل قيام الساعة؛ فقد روى الطبري وابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما

(١) رواه البخاري (١٥٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠١).

ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»^(١).

قال ابن كثير^(٢): (وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيره، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) أي بين واضح يراه كل أحد).

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ونحن أسفل منه، فاطلع فقال: «ما تكرون؟»، قلنا: الساعة، قال: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس».

ومن أشراف الساعة الكبرى -أيها الناس- طلوع الشمس من مغربها:

(١) انظر: تفسير الطبري (١١٣/٢٥)، وتفسير ابن كثير (٧/٢٣٥).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧/٢٣٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٤) رواه مسلم (٢٩٠١).

وذلك ثابت بالكتاب والسنة قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ

تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٠٨]

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، وإذا طلعت فرآها الناس؛ آمنوا أجمعين، فذاك حين لا ينفع نفسها إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوما: «أتدرون أين تذهب الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من طلوعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا، حتى

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤١).

(٤) رواه مسلم (١٥٩).

تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها». فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا تنفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا».

وأما عن استقرار الشمس تحت العرش وكيفية سجودها فقد أجاب على ذلك الإمام الخطابي رحمه الله فقال: «مستقرها تحت العرش؛ لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش؛ من حيث لا ندركه، ولا نشاهده، وإيما أخبرنا عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكفيه؛ لأن علمنا لا يحيط به».

ثم قال عن سجودها تحت العرش: «وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، والتعرف لما سخرت له. وأما قوله ﷺ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]؛ فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب»^(١).

وقال النووي رحمه الله: «وأما سجود الشمس؛ فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها»^(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله: «يسجد لظمته كل شيء طوعا وكرها، وسجود كل شيء مما يختص به»^(٣).

(١) شرح السنة للبغوي (١٥/٩٥، ٩٦) تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/١٩٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٣٩٨).

وقال ابن حجر رحمته الله: «وظاهر الحديث: أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري. والله أعلم»^(١).

-أيها الناس-؛ علينا أن نبادر بالتوبة إلى الله قبل أن تطلع الشمس من مغربها، وقبل تغرب شمس حياتنا، ولا يدري أحد منا متى تغرب شمسه ويأفل نجمه.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الهجرة خصلتان: إحداهما: أن يهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب ما فيه وكفى الناس العمل». وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه». أستغفر الله.

الخطبة الثانية: سائر أشراف الساعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

-أيها الناس-، تقدم الحديث عن سائر أشراف الساعة، وحديثي معكم الآن إنما هو تكملة لما سبق بيانه.

(١) فتح الباري (٨/٥٤٢).

(٢) (حسن) أخرجه أحمد في مسنده (١/١٩٢)، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/١٩٥).

-أيها الناس-؛ بعد أن تطلع الشمس من مغربها يكون ظهور الدابة، وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها.

ومما يدل على ظهور الدابة: قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنه قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال والدابة إلى آخر الحديث وقد سبق ذكره.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على إثرها قريباً».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يعمرن فيكم حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين».

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤١).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/٢٦٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢).

ومن أشرار الساعة الكبرى -أيها الناس-: خروج نار عظيمة من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم:

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه في ذكر أشرار الساعة وفيه: «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

وعند قيام الساعة -أيها الناس- يبعث الله رسولاً ريحا لينة فتقبض روح كل مؤمن:

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه» قال أبو علقمة: (مثقال حبة)، وقال عبد العزيز: (مثقال ذرة) من إيمان إلا قبضته».

والساعة -أيها الناس- لا تقوم إلا على شرار الناس، حتى لا يقال في الأرض: الله الله. ففي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٣) رواه مسلم (١١٧).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٩).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله».

وتكون قيام الساعة -أيها الناس- بغتة كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تقوم الساعة والرجل يجلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم».

-أيها الناس- قبل أن أودع مقامي هذا أذ كركم بالحث على العمل وإن قربت الساعة فإلى هذا أرشدنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا قامت الساعة ويبد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل».

وقفنا الله جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح وجعلنا هداة مهتدين.

(١) رواه مسلم (١٤٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٤).

فهرست الموضوعات

«الجزء الأول»

الفهرس

٤	مقدمة
٨	أركان الإسلام
٨	الخطبة الأولى: ١- الشهادتان: أ شهادة أن لا إله إلا الله
١٦	الخطبة الثانية: شروط «لا إله إلا الله»
٢١	الخطبة الأولى: ب- شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ
٢٨	الخطبة الثانية: الاتباع
٣٢	الخطبة الأولى: من معجزات النبي ﷺ
٣٩	الخطبة الثانية: من معجزات النبي ﷺ
٤٤	الخطبة الأولى: خصائص النبي ﷺ
٥٠	الخطبة الثانية: خصائص النبي ﷺ دون أمته
٥٥	الخطبة الأولى: حب النبي ﷺ
٦٣	الخطبة الثانية: حكم الاحتفال بالمولد
٦٧	الخطبة الأولى: النبي ﷺ كأنك تراه
٧٦	الخطبة الثانية: بعض صفة النبي ﷺ
٨١	الخطبة الأولى: الصلاة على النبي ﷺ
٨٨	الخطبة الثانية: الصلاة على النبي ﷺ
٩٢	الخطبة الأولى: أهمية الصلاة
٩٩	الخطبة الثانية: حكم تارك الصلاة
١٠٥	الخطبة الأولى: صلاة الجماعة
١١٢	الخطبة الثانية: فضل صلاة الجماعة
١١٧	الخطبة الأولى: من أخطاء الناس في الصلاة
١٢٥	الخطبة الثانية: من أخطاء الناس في صلاة الجمعة

- ١٣١ الخطبة الأولى : ٣. الزكاة
- ١٣٨ الخطبة الثانية : زكاة الفطر
- ١٤٢ الخطبة الأولى : ٤. صيام رمضان
- ١٤٨ الخطبة الثانية : مبطلات الصيام
- ١٥٣ الخطبة الأولى : ٢. فضل تلاوة القرآن
- ١٥٨ الخطبة الثانية : آداب تلاوة القرآن
- ١٦٢ الخطبة الأولى : من أخطاء الصائمين
- ١٦٩ الخطبة الثانية : من أخطاء بعض الصائمين
- ١٧٣ الخطبة الأولى : العشر الأواخر من رمضان
- ١٧٨ الخطبة الثانية : ليلة القدر
- ١٨٣ الخطبة الأولى : ٥. الحج والعمرة
- ١٨٩ الخطبة الثانية : العمرة
- ١٩٣ أركان الإيمان
- ١٩٣ الخطبة الأولى : ١. الإيمان بالله
- ٢٠٠ الخطبة الثانية : الإيمان بأسماء الله وصفاته
- ٢٠٤ الخطبة الأولى : ٢. الإيمان بالملائكة
- ٢١١ الخطبة الثانية : علاقة الملائكة بذرية آدم
- ٢١٦ الخطبة الأولى : ٣. الإيمان بكتب الله
- ٢٢٠ الخطبة الثانية : القرآن الكريم
- ٢٢٥ الخطبة الأولى : ٤. الإيمان برسول الله
- ٢٣٦ ٥. الإيمان باليوم الآخر
- ٢٣٦ الخطبة الأولى : أ. القبور أول منازل الآخرة
- ٢٤٣ الخطبة الثانية : القبور أول منازل الآخرة
- ٢٤٦ الخطبة الأولى : ب. القيامة
- ٢٥٣ الخطبة الثانية : أهوال يوم القيامة
- ٢٥٧ الخطبة الأولى : ج. حال العصاة يوم القيامة

- ٢٦٤ الخطبة الثانية: حال العصاة يوم القيامة
- ٢٦٩ الخطبة الأولى: د- وصف الجنة
- ٢٧٦ الخطبة الثانية: وصف الحور العين
- ٢٨٠ الخطبة الأولى: هـ- وصف النار
- ٢٨٧ الخطبة الثانية: وصف النار
- ٢٩٠ الخطبة الأولى: ٦- الإيمان بالقضاء والقدر
- ٢٩٧ الخطبة الثاني
- ٢٩٧ الإيمان بالقضاء والقدر
- ٣٠٢ الخطبة الأولى: أخطاء في باب القدر
- ٣٠٩ الخطبة الثانية: أخطاء في باب القدر
- ٣١٤ الخطبة الأولى: أشراف الساعة الصغرى
- ٣٢٠ الخطبة الثانية: أشراف الساعة الصغرى
- ٣٢٤ الخطبة الأولى: المهدي
- ٣٢٨ الخطبة الثانية: ما يجب علينا قبل خروج المهدي؟
- ٣٣٢ الخطبة الأولى: الدجال
- ٣٣٨ الخطبة الثانية
- ٣٤٢ الخطبة الأولى: نزول عيسى عليه السلام
- ٣٤٧ الخطبة الثانية: بعض أعمال عيسى عليه السلام
- ٣٥٠ الخطبة الأولى: خروج يأجوج ومأجوج
- ٣٥٤ الخطبة الثانية: كيف يكون خروج يأجوج ومأجوج
- ٣٥٨ الخطبة الأولى: سائر أشراف الساعة
- ٣٦٤ الخطبة الثانية: سائر أشراف الساعة
- ٣٦٨ فهرست الموضوعات

من أحدث إصدارات دار الإيمان

ذَوَقِيَّاتٌ

مَعًا لِنَرْتَقِ بِأَخْلَاقِنَا

تَأَلِيفُ

أَبِي جَبْرِ الْقَدِيمِ فَنَيْصِلُ بِنُجْوَى قَائِلِ الرَّحْمَةِ السَّرِيِّ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القسمة
الإسكندرية